الشَّرحُ المُختَصَر

على القَصِيدَةِ اللاَّمِيَّةِ المنسوبة لشَيْخِ الإسْلام

أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ

تَأْلِيفُ أَبِي مَشكُور الإسرَافِيلِيّ

عبد الشَّكُور بن عليّ بن عَبد الله الصَّومَالِي

في دَارِ الحَدِيثِ السلفيَّةِ بِالحَامِي

المقدّمة:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

أما بعد:

فلما رأيت شدَّة اهتمام طلبة العلم الأكارم بلامية المنسوبة لشيخ الإسلام لما لها من الأهمية العظيمة والمرتبة الجليلة أردتُ أنْ أُعَلِّقَ عليهِ شرحًا يناسبها في الاختصار، يَفُكُّ مَبَانِيَه، ويَحُلُّ معانيَه، ويذكر دلائله، ويُبيِّنُ مسائلة، وقد شرحها جماعة من الأكابر إلا أنهم توسعوا أو توسطوا في شرحها، أو لم يلتفتوا إلى شرح ألفاظها، وأودعوا فيها مسائل لا تناسب المبتدئ، والمنظومة تحتاج إلى شرح مختصر، يمكن تدريسه، فهذا هو الذي نَدَبَنِي إلى هذا الشرح المختصر، مع ما سألني في ذلك مَن لا تسعني مخالفته، وأستعين في ذلك بربي الكريم؛ إنه الميسر لكل صعب عظيم.

والحمد لله رب العالمين.

تَعريفُها وَمَوضُوعُها

هذه المنظومة التي اشتهرت باسم (لامية شيخ الإسلام) هي منظومة مختصرة، فيها بيان بعض معتقدات أهل السنة والجماعة، وهي محبة الصحابة الكرام والثناء عليهم، واعتقاد تفاضلهم فيما بينهم، ومحبة آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وإثبات صفات الرَّب جل وعلا كصفة النزول، وأن المؤمنين يرون ربهم، ثم ذكر فيها بعض أمور الآخرة كالحوض، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، والقبر وفتنته، والله أعلم بالصواب.

نسبتها لشيخ الإسلام:

قد اختلف العلماء المحققون في إثبات هذه الرسالة لشيخ الإسلام، فمنهم من نفاه كالشيخ العلامة ابن عثيمين (١) والشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد، (٢) والأخ خالد بن علي الحيان، (٣) لأمور:

١) أنه لم يذكرها أحد من طلابه، كابن القيم مع أنه اعتنى بذكر كتب شيخه.

٢) أنه لم يذكرها أحد ممن ترجم لشيخ الإسلام بعد طلابه.

---

١) في شرح السفارينية.

٢) في المدخل إلى آثار شيخ الإسلام.

٣) في رسالة له في نسبتها لشيخ الإسلام.

٣) أن فيها وصف القرآن بلفظ (القديم) في بعض النسخ، ومعلوم موقف شيخ الإسلام من هذا اللفظ.

٤) أن هناك بيتا من هذه القصيدة ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى، وسيأتي تنبيهه، وأسندها إلى منشد مجهول، ولو كانت له لأسندها إلى نفسه.

ومن العلماء من أثبت هذه المنظومة لشيخ الإسلام لأمور:

١) لاشتهارها.

٢) عدم مخالفتها للعقيدة الصحيحة.

٣) ولأنها وجدت بين رسائل شيخ الإسلام، ويوجد قبلها رسالة تسمَّى (عقيدة ابن تيمية).

٤) لأن جماعة من العلماء ذكروها في الكتب، كالشيخ نعمان الآلوسي في كتابه (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين)، والشيخ عبد السلام برجس في كتابه (الصحيح من النظم الفصيح لشيخ الإسلام ابن تيمية)، وهكذا في رسالته: (إبطال نسبة الديوان).

٥) شرح بعض العلماء عليها.

قلت: الاحتمال موجود، والأحسن أن يقال: تنسب لشيخ الإسلام رحمه الله.([1])

---

[1]) يقول الشيخ عبد الكريم الخضير في شرح اللامية (ص/٨): "ولذا يقولون: المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، لكن الكلام فيها، الموجود فيها حق، سواء كان لشيخ الإسلام أو لغيره –رحم الله الجميع–، وما دام الكلام حقاً فلطالب العلم أن يعنى بها، فهي منظومة طيبة على اختصارها حوت ما أتفق عليه من مسائل الاعتقاد، فهي منظومة طيبة، وعلى طالب العلم أن يعنى بها ويحفظها، وينظر في شروحها، ولا أعرف لها شرحاً للمتقدمين."

شروحات هذه المنظومة:

من شروحات هذه المنظومة:

١) اللآلئ البهية شرح منظومة شيخ الإسلام ابن تيميَّة، للعلامة أحمد المرداوي الحنبلي.
٢) شرح اللامية، تأليف يوسف بن عبد الله السالم.
٣) شرح لاميَّة شيخ الإسلام لشيخنا العلَّامة المحدث أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري.
٤) شرح لامية شيخ الإسلام للشيخ عبد الكريم بن عبد الله الخضير.
٥) شرح لامية شيخ الإسلام، تأليف عبد الرحيم بن صمايل السلمي.
٦) إفادة الأنام في شرح لامية شيخ الإسلام للشيخ كمال العدني.
٧) الفوائد البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ محمد بن حزام الفضلي البعداني.
٨) التحفة العليَّة شرح منظومة شيخ الإسلام للشيخ محمد باجمال الحضرمي.
٩) كشف اللثام بشرح اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام، للشيخ أبي معاذ حسين الحطيبي.
١٠) شرح لامية شيخ الإسلام للشيخ الجليل أبي محمد عبد الحميد الحجوري
١١) شرح لامية شيخ الإسلام، تأليف عمر بن سعود بن فهد العيد.

وقد استفدت من بعض هذه الشروح، فجزاهم الله خيرا، والحمد لله ربِّ العالمين.

ترجمَة المُصنِّف

اسمه ومولده:

هو أحمد تقي الدين أبو العباس بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني.

واشتهرت أسرته بالعلم، فأبوه عالم، وجدَّه أعلم منه، وهو صاحب (منتقى الأخبار)، ولذا قيل عن أبيه: نجم وقع بين الشمس والقمر.

وذكر مترجموه أقوالاً في سبب تلقيب العائلة بآل (تيمية) منها ما نقله ابن عبد الهادي رحمه الله: أن جده محمداً كانت أمه تسمى (تيمية)، وكانت واعظة، فنسب إليها، وعرف بها.

وقيل: إن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء، فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت بنتاً له فقال: يا تيمية، يا تيمية، فلقب بذلك. ([1])

ولد رحمه الله يوم الاثنين، عاشر، وقيل: ثاني عشر من ربيع الأول سنة ٦٦١هـ. في حرّان، ثم سافر إلى دمشق وقد بلغ سبع سنين، لأجل التتار.

وأما نشأته فقد قال عنها العلامة الذهبي كما في العقود الدرية (١/ ٢٠): "نَشأ فِي تصون تَامّ، وعفاف، وتأله وَتعبد، واقتصاد فِي الملبس والمأكل، وَكَانَ يحضر الْمدَارِس والمحافل فِي صغره، ويناظر ويفحم الْكِبَار، وَيَأْتِي بِمَا يتحير مِنْهُ أَعْيَان الْبَلَد فِي الْعلم، فَأفْتى وَله تسع عشرَة سنة، بل أقل، وَشرع فِي الْجمع والتأليف

[1]) العقود الدرية (ص/٢).

من ذَلِك الْوَقْت، وأكب على الِاشْتِغَال، وَمَات وَالِده وَكَانَ من كبار الْحَنَابِلَة وأئمتهم، فدرس بعده بوظائفه وَله إِحْدَى وَعِشْرُونَ سنة، واشتهر أمره وَبعد صيته فِي الْعَالم، وَأخذ فِي تَفْسِير الْكتاب الْعَزِيز فِي الْجمع على كرْسِي من حفظه، فَكَانَ يُورد الْمجْلس وَلَا يتعلثم، وَكَذَا كَانَ الدَّرْس بتؤدة وَصَوت جَهورِي فصيح".

مصنَّفاته: ([1])

منها:

الاستقامة، واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، وبيان تلبيس الجهمية: والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ودرء تعارض العقل، والصفدية، ومنهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، والنبوات، وقد جمعت بعض فتاويه ورسائله في (٣٧) مجلدا، جمعه الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وولده محمد، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

شيوخه:

له شيوخ كثيرة منهم:

١) وَالِده، عبد الْحَلِيم بن عبد السَّلَام بن عبد الله بن تَيْمِية الْحَرَّانِي.

٢) مُحَمَّد بن عبد الْقوي بن بدران الْمَقْدِسِي الصَّالِحِي الْحَنْبَلِيّ.

---

[1]) قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "وأما تصانيفه رحمه الله فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر، سارت سير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حدّ الكثرة فلا يمكن أحد حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعدّ المعروف منها، ولا ذكرها". الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٠٣).

٣) عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن قدامَة الْمَقْدِسِي الصَّالِحِي.

٤) مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن أبي سعد بن عَليّ الشَّيْبَانِيّ الْآمِدِيّ الْحَنْبَلِيّ.

٥) أَحْمد بن عبد الدايم بن نعْمَة بن أَحْمد زين الدّين أَبُو الْعَبَّاس.

تلامذته:

من طلابه شيخ الإسلام:

١) الإِمَام مُحَمَّد بن أبي بكر الدِّمَشْقِي ابْن قيم الجوزية.

٢) الْحَافِظ مؤرخ الْإِسْلَام شمس الدّين أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمد الذَّهَبِيّ.

٣) الْمُحدّث مُحَمَّد بن أَحْمد بن عبد الْهَادِي.

٤) عماد الدّين، أَبُو الْفِدَاء إِسْمَاعِيل بن عمر بن كثير الْقرشِيّ ثمَّ الدِّمَشْقِي.

٥) الْحَافِظ، خَلِيل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي، الدِّمَشْقِي، الشَّافِعِي.

ثَنَاء العُلَمَاء عَلَيه: (١)

قال الذهبي كما في الردّ الوافر (ص/٣٥): "وَهُوَ أكبر من أَن يُنَبه مثلي على نعوته، فَلَو حَلَفت بَين الرُّكْن وَالْمقَام لحلفت إِنِّي مَا رَأَيْت بعيني مثله، وَلَا وَالله مَا رأى هُوَ مثل نَفسه فِي الْعلم."

---

١) قد أثنى عليه كثير من العلماء من أصحابه وأعدائه، كما هو مسجل في كتب التراجم.

يقول العلامة كمال الدين بن الزملكاني: "كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم، سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله، والمنسوبين إليه، وكانت له اليد الطُّولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين". ([1])

وفاته رحمه الله:

توفي رحمه الله في السجن في ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة (٧٢٨هـ). ([2])

---

[1]) انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي.

[2]) قال ابن كثير في البداية والنهاية (١٤/١٣٨): "قال: وقد اتفق موته فِي سَحَرِ لَيْلَةِ الِاثْنَيْنِ الْمَذْكُورِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ مُؤَذِّنُ الْقَلْعَةِ عَلَى الْمَنَارَةِ بِهَا، وَتَكَلَّمَ بِهِ الْحُرَّاسُ عَلَى الْأَبْرِجَةِ، فَمَا أَصْبَحَ النَّاسُ إِلَّا وَقَدْ تَسَامَعُوا بِهَذَا الْخَطْبِ الْعَظِيمِ وَالْأَمْرِ الْجَسِيمِ، فَبَادَرَ النَّاسُ عَلَى الْفَوْرِ إِلَى الِاجْتِمَاعِ حَوْلَ الْقَلْعَةِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ أَمْكَنَهُمُ الْمَجِيءُ مِنْهُ، حَتَّى مِنَ الْغُوطَةِ وَالْمَرْجِ... وكنتُ فيمن حَضَرَ هُنَاكَ مَعَ شَيْخِنَا الْحَافِظِ أَبِي الْحَجَّاجِ الْمِزِّيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِ الشَّيْخِ ونظرت إليه وقبلته، وعلى رأسه عمامة بعذب مَغْرُوزَةٍ وَقَدْ عَلَاهُ الشَّيْبُ أَكْثَرَ مِمَّا فَارَقْنَاهُ. وَأَخْبَرَ الْحَاضِرِينَ أَخُوهُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل الْقَلْعَةَ ثَمَانِينَ خَتْمَةً وَشَرَعَا فِي الْحَادِيَةِ وَالثَّمَانِينَ، فانتهينا فيها إلى آخر اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الخيران عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُحِبِّ وَعَبْدُ اللَّهِ الزُّرَعِيُّ الضرير– وكان الشيخ رحمه الله يحب قراءتهما– فابتدءا مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الرَّحْمَنِ حَتَّى خَتَمُوا الْقُرْآنَ وَأَنَا حَاضِرٌ أَسْمَعُ وَأَرَى."

نصُّ المَنظُومَةِ

[١] يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي
رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

[٢] اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَولِه
لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ وَلاَ يَتَبَدَّلُ

[٣] حُبُّ الصَّحابَةِ كلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ
وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسّلُ

[٤] وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلاَ وَفَضَائلٌ
لكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

[٥] وَأَقُولُ فِي القُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ
آياتُهُ فَهْوَ الْكَرِيمُ الْمُنزَلُ

[٦] وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ
وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ

[٧] وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا
حَقّاً كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

[٨] وأَرُدُّ عُهْدَتَها إِلَى نُقَّالِهَا
وَأَصُونُها عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

[٩] قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ
وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ

[١٠] وَالمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقّاً رَبَّهُمْ
وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

[١١] وأُقِرُ بالْمِيزَانِ وَالْحَوضِ الَّذِي
أَرجُو بأَنِّي مِنْهُ رَيّاً أَنْهَلُ

[١٢] وَكَذَا الصِّراطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ
فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَآخَرُ مُهْمَلُ

[١٣] والنَّارُ يَصْلاَهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ
وَكَذَا التَّقِيُّ إِلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ

[١٤] ولِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ في قَبْرِهِ
عَمَلٌ يُقارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

[١٥] هذا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيّ ومَالِكٍ
وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ

[١٦] فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ
وَإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

مُقَدّمَةُ المُصَنّفِ

(ص)

[١] يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي
رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلْهِدَايَةِ يَسْأَلُ

(ش)

افتتح المصنف رحمه الله منظومته بتحديد المقصود منها، وهي بيان مختصر لعقيدته التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة، ولم أقف على نسخة فيها البدء بالبسملة.

قوله: (يا سائلي): يا: حرف نداء، والمنادى هو السائل، والسؤال في اللغة: مأخوذ من مادة سأل يسأل سؤالاً، يقال: سألته عن الشيء أي: استخبرته، ومن معانيه في اللغة: الطلب، وكأن السائل يطلب من شيخ الإسلام أن يخبره عن معتقده ومذهبه. ([1])

قوله: (عن مذهبي): المذهب مأخوذ من مادة ذهب، أي: مضى، والذّهاب هو السير، وفي الصحاح: "المذهب: المعتقد الذي يذهب إليه."

---

[1]) انظر شرح لاميَّة شيخ الإسلام لعمر بن سعود (ص/٩).

قلت: والغالب أنه يطلق على مسائل الفروع، كمذهب الشافعي، وابن حنبل، إلا أنَّ المراد هنا الأوَّل خلافا للشارح؛ ([1]) لأن شيخ الإسلام ابن تيمية أو الناظم لم يذكر شيئاً من مسائل الفروع.

قوله: (وعقيدتي): العقيدة لغة: مأخوذ من مادة عقد التي تدلّ على الربط والإحكام والشدّ بقوّة، وهو نقيض الحلّ، ومنه عقد اليمين والنكاح، يقول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾.

واصطلاحا: هو الحكم الذهني الجازم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعتقد إليه ضميره، ويتخذه مذهبا يذهب ودينا يدين. ([2]) ولا قرف بين المذهب والمعتقد هنا، فعلى هذا فعطف العقيدة على المذهب من باب عطف الشيء على نفسه، وإنما كررها للوزن في النظم.

قوله: (رزق الهدى): هذا لفظه لفظ الخبر، والمراد منه الدعاء، أن الله جل وعلا يرزقه الهدى، والرِّزق هو ما ينتفع به من العطاء، والمراد به هنا هو الرزق المعنوي المشتمل على رزق القلوب بالعلم والإيمان ونحوها.

والهدى بضم الهاء وفتح الدال: الرشاد والدلالة، وهو خلاف الضلال والغواية.

قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١٦٦/٧): "الهدى الْعِلْم الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ وَالْعَمَل بِهِ." ([3])

---

[1]) وهو العلامة المرداوي الحنبلي في اللآلئ البهيَّة شرح لاميَّة شيخ الإسلام ابن تيميَّة (ص/٤٤).

[2]) قال ابن حزم في الإحكام (٣٩/١): "والاعتقاد هو استقرار حكم بشيء ما في النفس إما عن برهان أو اتباع من صح برهان قوله فيكون علما يقينا، ولا بد، وإما عن إقناع فلا يكن علما متيقنا ويكون إما حقا أو باطلا، وإما لا عن إقناع لا عن برهان، فيكون إما حقا بالبخت وإما باطلا بسوء الجد ".

[3]) قال ابن القيم في شفاء العليل (ص/٣٩): "الهدى هو معرفة الحق والعمل به."

قوله: (من للهداية): (من) اسم موصول بمعنى الذي، وهو نائب فاعل لـ(رُزِقَ)، والهداية هي العلم بالحق مع قصده وإيثاره على غيره. ([1])

وهي تنقسم إلى أربعة أقسام: ([2])

١) الهداية العامَّة لكل أحد بحسب حاله، وهي هداية الخلائق إلى مصالحها، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه (٥٠)].

٢) هداية الدَّلالة والإرشاد والبيان، وهي للأنبياء والعلماء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى (٥٢)]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة (٢٤)].

٣) هداية التَّوفيق والإلهام، وهي خاصَّة بالله جلَّ وعلا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن (١١)]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص (٥٦)].

٤) هداية الآخرة، أي: التي تحصل في الآخرة، وهي هداية أهل الجنَّة إلى الجنَّة، وأهل النار إلى النَّار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف (٤٣)]، وقوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا

---

[1]) قاله ابن القيم في مفتاح دار السَّعادة (١/٨٦).

[2]) انظر بدائع الفوائد لابن القيم (١/٣٥-٣٧) والفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/٤٢٢)، والغريب للراغب الأصفهاني، والتعريفات الاعتقادية (ص/٣٤٢).

يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات (٢٣)].

قوله: (يسأل): أي يطلب الهداية، لأنه مأمور بالسؤال.

ومعنى الإجمالي للبيت: يا أيها السَّائل الذي يسألني ويطلب منِّي الجواب، سؤال هداية واسترشاد، لا سؤال تعنُّت وعناد، عمَّا أذهب إليه وأميل إليه بقلبي واعتقادي في الأصول، وأسأل من الله جلَّ وعلا أن يعطي الهداية لمن يطلبها، لأن السؤال عن الأمر الذي يشكل على المسلم من أعظم أسباب الهداية، وهي جملة اعتراضيَّة.

المسائل المتعلَّقة بالبيت:

في البيت عدَّة مسائل:

١) ضرورة سؤال أهل العلم، وقد أمر الله جلَّ وعلا ذلك في قوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النَّحل (٤٣)].

٢) الاهتمام بأمور العقيدة، وفي حديث ابن عبَّاس إشارة إلى ذلك.

٣) الدعاء للطالب الذي يحبُّ الهداية والخير، وهي عادة الأنبياء والعلماء.

٤) التلطف مع السَّائل الذي يحبُّ الخير.

٥) مبنى الدَّعوة الرَّحمة بالمدعوين.

٦) أعظم ما يحتاج إليه الإنسان في هذه الدنيا هو الوصول إلى الهداية، وفي سورة الفاتحة إشارة إلى ذلك.

(ص)

[٢] اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَولِه
لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ (١) وَلاَ يَتَبَدَّلُ

(ش)

أمر المصنِّف رحمه الله في هذا البيت السَّائل أو القارئ بالسماع أو الاستماع والإصغاء لما سيقوله ويتكلم به، فقال رحمه الله: (اسْمَعْ): فعل أمر، وهو حثٌّ وتحريض على السَّماع، والسَّمع قُوَّة فِي الْأذن بهَا تدْرك الْأَصْوَات، (٢) والمراد به هنا الاستماع، ثم العمل به، لأن فائدة السمع هو العمل بالمسموع.

قال ابن القيِّم في مدارج السالكين (١/٤٧٨): "وَحَقِيقَةُ السَّمَاعِ: تَنْبِيهُ الْقَلْبِ عَلَى مَعَانِي الْمَسْمُوعِ، وَتَحْرِيكُهُ عَنْهَا طَلَبًا وَهَرَبًا، وَحُبًّا وَبُغْضًا، فَهُوَ حَادٍ يَحْدُو بِكُلِّ أَحَدٍ إِلَى وَطَنِهِ وَمَأْلَفِهِ."

قوله: (كَلامَ): الكلام هو: كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه. وهو الذي يسميه النحويون: الجمل. (٣)

قوله: (مُحَقِّقٍ): أي: متحقق ومتثبّت ومتيقّن من صواب ما يقوله ويعتقده. (٤) وليس المراد منه تزكية النَّفس بأنه الإمام المحقِّق المدقق للمسائل خلافا لبعضهم، لأن المتبادر إحسان الظن بالأكابر.

---

١) يجب إشباع " الهاء " في: " عنه " ليستقيم الوزن. ولذلك يكتبها بعض النساخ " عنهمو" لينتبه القارئ. كذا قال بعضهم.

٢) المعجم الوسيط، مادة (سمع).

٣) قاله ابن جنّي الخصائص (١/١٧).

٤) انظر شرح اللاميَّة ليوسف السالم (ص/٤٩).

قوله: (فِي قَولِهِ): أي: فيما يتلفَّظ به، والقول بالشيء هو التلفُّظ به، ويطلق على الآراء والاعتقادات، فيقال: قلت بأن النية واجبة، ويقال: هذا قول المعتزلة.([1])

قوله: (لاَ يَنْثَنِي عَنْهُ): أي: لا يرجع عن ذلك الاعتقاد مهما كانت الصوارف والخطوب، والانثناء في اللغة: هو الانعطاف.

قوله: (وَلاَ يَتَبَدَّلُ): أي: لا يتغيَّر عن معتقده الذي تحقَّق منه، ولا يستبدل شيئا آخر مكانه، والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله.

ومعنى البيت: اسمع بأذنك وافهم بقلبك أيها السائل كلامي وما سأقوله وأتكلم به، لأنه يصدر من متحقق ومتأكد فيما يتلفظ به ويعتقده، فليس عنده تساهل ولا غفلة، بل لا يتردد ولا يرجع عن ذلك الاعتقاد، لأنه لا يتبدَّل مذهب السَّلف بغيره.

بعض المسائل المتعلِّقة بالبيت:

١) السماع هو أصل الخير وأوَّل العلم.

٢) السَّماع لأهل الخير والاعتقادات الصحيحة.

٣) عدم السَّماع للشاكِّين. ([2])

---

[1]) انظر حاشية الخضري (١/٩).

[2]) ففي الشريعة للأجرّي (١/٤٣٧) عن مَعْنُ بْنُ عِيسَى قَالَ: انْصَرَفَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَوْمًا مِنَ الْمَسْجِدِ، وَهُو مُتَّكِئٌ عَلَى يَدِي فَلَحِقَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْجُوَيْرِيَةِ كَانَ يُتَّهَمُ بِالْإِرْجَاءِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا أُكَلِّمُكَ بِهِ وَأُحَاجُّكَ وَأُخْبِرُكَ بِرَأْيِي قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتَنِي؟ قَالَ: إِنْ غَلَبْتُكَ اتَّبَعْتَنِي قَالَ: فَإِنْ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ، فَكَلَّمَنَا فَغَلَبَنَا؟ قَالَ: نَتَّبِعُهُ، قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدِينٍ وَاحِدٍ، وَأَرَاكَ تَنْتَقِلُ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: "مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ". وفي حلية الأولياء (٦/٣٢٤) عن الشَّافِعِيَّ، أنه قال: "كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ إِذَا جَاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ قَالَ: أَمَا إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَدِينِي، وَأَمَّا أَنْتَ فَشَاكٍ، فاذهب إِلَى شَاكٍ مِثْلِكَ فَخَاصِمْهُ".

٤) عدم التلوّن في دين الله. ([1])

[1]) وفي الإبانة لابن بطَّة (١٩٨/١) عَنْ خَالِدٍ، مَوْلَى أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ لِأَبِي مَسْعُودٍ: «إِنَّ الضَّلَالَةَ حَقُّ الضَّلَالَةِ أَنْ تَعْرِفَ مَا كُنْتَ تُنْكِرُ، وَتُنْكِرَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ، وَإِيَّاكَ وَالتَّلَوُّنَ فِي الدِّينِ فَإِنَّ دِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ».

عَقِيدةُ أَهلِ السُّنَّة فِي الصَّحَابَةِ وَالآلِ

(ص)

[٣] حُبُّ الصَّحابَةِ كلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ

وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسّلُ

(ش)

لمَّا فرغ المصنِّف رحمه الله تعالى من المقدّمة شرع في بيان المسائل الاعتقاديَّة التي يريدها، وبدأ بموضوع الصَّحابة، لأهميتها، ولكونها من المسائل المجمع عليها عند أهل السنَّة، مع أنَّ عادة المصنِّفين في الاعتقاد تأخيرها.

وقيل: بدأ بذكر الصحابة لثلاثة أمور:

١) لأنها من أوائل القضايا التي وقع الخلاف فيها، فقد حدثت في عهد عثمان وتكلموا فيه بباطل.

٢) لأنهم هم الذين نقلوا إلينا مسائل العقيدة، فلا يمكن تصحيح العقيدة إلا بإقرار حقِّهم.

٣) لأن الحق معهم دائما في المسائل المختلف فيها، فمن أراد الهداية فليسلك سبيلهم. ([1])

قوله: (حُبُّ): الحب في اللغة: نقيض البغض، وهو ميل القلب إلى المحبوب لسبب ظاهر أو باطن. ([2])

---

[1]) انظر شرح اللاميَّة لعمر بن سعود بن فهد العيد (ص/١٢).

[2]) قال ابن القيّم في المدارج (٣/١٠): "لَا تُحَدُّ الْمَحَبَّةُ بِحَدٍّ أَوْضَحَ مِنْهَا. فَالْحُدُودُ لَا تَزِيدُهَا إِلَّا خَفَاءً وَجَفَاءً. فَحَدُّهَا وُجُودُهَا. وَلَا تُوصَفُ الْمَحَبَّةُ بِوَصْفٍ أَظْهَرَ مِنَ الْمَحَبَّةِ." وقال الحافظ في الفتح (١٠/٤٦٣): "وَحَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ عِنْدَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي لَا تُحَدُّ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُهَا مَنْ قَامَتْ بِهِ وِجْدَانًا لَا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهُ."

قوله: (الصَّحابَةِ): من: صَحب، يصحب، صحابة وصحبة: رافقه ولازمه، والصَّحابيُّ: من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، ومات على الإسلام.([1])

قوله: (كلِّهِمْ): أي جميعهم بدون استثناء، وهي كلمة تفِيد الِاسْتِغْرَاق لأفراد مَا تُضَاف إِلَيْهِ أَو أَجْزَائِهِ. ([2])

قوله: (لِي مَذْهَبٌ): تقدَّم الكلام عليه.

قوله: (وَمَوَدَّةُ): أي: المحبَّة، والودُّ خالص المحبَّة.

قوله: (القُرْبَى): أي: قرابة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلَّم، وهم بنو هاشم، وبنو المطلب، ويدخل فيهم دخولاً أولياً ذريته وأزواجه، ومنه قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى (٢٣)]،

قوله: (بِهَا أَتَوَسّلُ): أي: أتقرَّب إلى الله جلَّ وعلا بحبهم، لأن مودَّتهم من الأعمال الصَّالحة، والتوسُّل بالأعمال الصَّالحة مشروع، كما هو مبيَّن في موضعه.

ومعنى البيت: اعلم أيها السَّائل أن حبَّ جميع الصَّحابة بدون استثناء أحد منهم مذهب لي، أذهب إليه وأعوّل في الاعتقاد عليه، فلا أفرّق في المحبَّة بين أبي بكر وعلي، وبين معاوية وعمار، وبين عائشة وفاطمة، كما أنّي أتقرَّب إلى الله جلَّ وعلا بمحبَّة قرابة النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأهل بيته حبًّا شرعيًّا، لا غلوَّ فيه ولا تفريط، فلا أسبُّ الصحابة خلافا للرافض والشيعة، ولا أبغض آل النَّبي صلى الله عليه وسلَّم خلافا للنواصب، والله أعلم.

---

[1]) ذكره الإمام الحافظ ابن حجر في مقدمة كتابه الإصابة (١/١٣).

[2]) المعجم الوسيط مادَّة (كل).

المسائل المتعلِّقة بالبيت:

وفي البيت عدَّة مسائل:

١) حبُّ الصَّحابة رضي الله عنهم:

من عقيدة أهل السنَّة والجماعة وجوب حبّ أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلَّم، وأنَّه لا يجوز للمسلم أن يبغض أحدا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر (١٠)]. (١)

وفي الصحيحين من حديث البراء بن عازب عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي الْأَنْصَارِ: «لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ». (٢)

قال الطَّحاوي في عقيدته: "وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ،

---

١) قال القرطبي في تفسيره عند الآية (٣٢/١٨): " هَذِهِ الْآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ مَحَبَّةِ الصَّحَابَةِ، لِأَنَّهُ جَعَلَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ حَظًّا فِي الْفَيْءِ مَا أَقَامُوا عَلَى مَحَبَّتِهِمْ وَمُوَالَاتِهِمْ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، وَأَنَّ مَنْ سَبَّهُمْ أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَوِ اعْتَقَدَ فِيهِ شَرًّا أَنَّهُ لَا حَقَّ لَهُ فِي الْفَيْءِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ. قَالَ مَالِكٌ: مَنْ كَانَ يُبْغِضُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ كَانَ فِي قَلْبِهِ عَلَيْهِمْ غِلٌّ، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ الْآيَةَ".

٢) قال النووي في شرح مسلم (٦٣/٢): " وَمَعْنَى هَذَا الْأَحَادِيثِ: أَنَّ مَنْ عَرَفَ مَرْتَبَةَ الْأَنْصَارِ وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي نُصْرَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالسَّعْيِ فِي إِظْهَارِهِ، وَإِيوَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَقِيَامِهِمْ فِي مُهِمَّاتِ دِينِ الْإِسْلَامِ حَقَّ الْقِيَامِ، وَحُبِّهِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحُبِّهِ إِيَّاهُمْ، وَبَذْلِهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقِتَالِهِمْ وَمُعَادَاتِهِمْ سَائِرَ النَّاسِ إِيثَارًا لِلْإِسْلَامِ، وَعَرَفَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُرْبَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحُبَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ، وَمَا كَانَ مِنْهُ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَسَوَابِقِهِ فِيهِ، ثُمَّ أَحَبَّ الْأَنْصَارَ وَعَلِيًّا لِهَذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ دَلَائِلِ صِحَّةِ إِيمَانِهِ، وَصِدْقِهِ فِي إِسْلَامِهِ، لِسُرُورِهِ بِظُهُورِ الْإِسْلَامِ، وَالْقِيَامِ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ كَانَ بِضِدِّ ذَلِكَ، وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى نِفَاقِهِ وَفَسَادِ سَرِيرَتِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ."

وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وطغيان". (١)

٢) تحريم الكلام فيهم وسبهم:

ومن عقيدة أهل السنَّة والجماعة أنه لا يجوز الكلام في الصحابة، وسبّهم، لأنهُمُ هم الَّذِينَ قَامُوا بِالدِّينِ تَصْدِيقًا، وَعِلْمًا، وَعَمَلًا، وَتَبْلِيغًا، فَالطَّعْنُ فِيهِمْ طَعْنٌ فِي الدِّينِ مُوجِبٌ لِلْإِعْرَاضِ عَمَّا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ النَّبِيِّينَ. وَهَذَا كَانَ مَقْصُودَ أَوَّلِ مَنْ أَظْهَرَ بِدْعَةَ التَّشَيُّعِ، فَإِنَّمَا كَانَ قَصْدُهُ الصَّدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِبْطَالَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَنِ اللَّهِ. (٢)

ودليل ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ».

وفي صحيح مسلم عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، قالت: يَا ابْنَ أُخْتِي «أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبُّوهُمْ».

قال شيخ الإسلام في الواسطيَّة: " ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم." (٣)

---

١) قال شيخ الإسلام منهاج السنَّة (٢٢/١): "وَمِنْ أَعْظَمِ خَبَثِ الْقُلُوبِ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ غِلٌّ لِخِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَادَاتِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ."

٢) مقتبس من كلام شيخ الإسلام في منهاج السنة (١٨/١).

٣) قال ابن كثير في تفسيره (١٧٨/٤): "فَيَا وَيْلُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ أَوْ سَبَّهُمْ أَوْ أَبْغَضَ أَوْ سَبَّ بَعْضَهُمْ، وَلَا سِيَّمَا سَيِّدُ الصَّحَابَةِ بَعْدَ الرَّسُولِ وَخَيْرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ أَعْنِي الصِّدِّيقَ الْأَكْبَرَ وَالْخَلِيفَةَ الْأَعْظَمَ أَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي قُحَافَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِنَّ الطَّائِفَةَ الْمَخْذُولَةَ مِنَ الرَّافِضَةِ يُعَادُونَ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ وَيُبْغِضُونَهُمْ وَيَسُبُّونَهُمْ. عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُقُولَهُمْ مَعْكُوسَةٌ وَقُلُوبَهُمْ مَنْكُوسَةٌ، فَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ إِذْ يَسُبُّونَ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يَتَرَضَّوْنَ عَمَّنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيَسُبُّونَ مَنْ سَبَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيُوَالُونَ مَنْ يُوَالِي اللَّهَ

٣) وجوب السُّكوت عما جرى بينهم:

ومن عقيدة أهل السنَّة أن الصَّحابة بشر، ليسوا بمعصومين، فهم لا يقولون إنَّ الْوَاحِدَ مِنْ الصحابة لَا يُذْنِبُ، بَلِ الَّذِي يشْهَدُون بِهِ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْ هَؤُلَاءِ إِذَا أَذْنَبَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يُدْخِلُهُ النَّارَ، بَلْ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ بِلَا رَيْبٍ، وَعُقُوبَةُ الْآخِرَةِ تَزُولُ عَنْهُ: إِمَّا بِتَوْبَةٍ مِنْهُ، وَإِمَّا بِحَسَنَاتِهِ الْكَثِيرَةِ، وَإِمَّا بِمَصَائِبِهِ الْمُكَفِّرَةِ، وَإِمَّا بِغَيْرِ ذَلِكَ، ([1]) فلذلك يجب الإمساك عمَّا شجر بين الصحابة، وعدم ذكر أخطائهم على وجه التعيير.

قال الصَّابوني في عقيدة السَّلف أصحاب الحديث: "ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم، والموالاة لكافتهم."

٤) حبُّ آل النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم، وتحريم الكلام فيهم وسبِهم:

من عقيدة أهل السنَّة حبّ آل النبيّ صلى الله عليه وسلَّم، واحترامهم وتعظيمهم، لما ثبت عنه صلى الله عليه وسلَّم في مسلم عن زيد بن الأرقم، قال: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ

وَيُعَادُونَ مَنْ يُعَادِي اللَّهَ وهم متبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدئون، وَلِهَذَا هُمْ حِزْبُ اللَّهِ الْمُفْلِحُونَ وَعِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ."

[1]) منهاج السنَّة لابن تيمية (٦/٢٠٥).

وقال في نفس المصدر (٧/٣٢٤): "وَالْقَاعِدَةُ الْكُلِّيَّةُ فِي هَذَا أَنْ لَا نَعْتَقِدَ أَنَّ أَحَدًا مَعْصُومٌ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلِ الْخُلَفَاءُ وَغَيْرُ الْخُلَفَاءِ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الْخَطَأُ، وَالذُّنُوبُ الَّتِي تَقَعُ مِنْهُمْ، قَدْ يَتُوبُونَ مِنْهَا، وَقَدْ تُكَفَّرُ عَنْهُمْ بِحَسَنَاتِهِمُ الْكَثِيرَةِ، وَقَدْ يُبْتَلَوْنَ [أَيْضًا] بِمَصَائِبَ يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ بِهَا، وَقَدْ يُكَفَّرُ عَنْهُمْ بِغَيْرِ ذَلِكَ."

اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ " فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ". (١)

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ أبو بكر رضي الله عنها: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي)).

قال ابن كثير في تفسيره (٧/١٨٤): " وَلَا تُنْكَرُ الْوَصَاةُ بِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَالْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْتِرَامِهِمْ، وَإِكْرَامِهِمْ، فَإِنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ طَاهِرَةٍ مِنْ أَشْرَفِ بَيْتٍ وُجِدَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَخْرًا وَحَسَبًا وَنَسَبًا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانُوا متبعين للسنة النبوية الصَّحِيحَةِ الْوَاضِحَةِ الْجَلِيَّةِ، كَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُهُمْ كَالْعَبَّاسِ وَبَنِيهِ وَعَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ."

---

(١) يقول شيخنا عبد الحميد الحجوري في الفوائد الذهبية على العقيدة الواسطيَّة (ص/٧٣١): "وإن تتبعت الطرق والشواهد لوجدت أن الأمر الثاني لم يذكر في الحديث وهو السنَّة، قال صلى الله عليه وسلَّم " أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ" من حديث زيد بن الأرقم رضي الله عنه عند مسلم (٢٤٠٨).

ثم استطرد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» أي: أدُّوا إليهم حقهم، وأحسنوا إليهم، والإحسان يكون لمحسنهم، فمن أحسن منهم باتباع النبي صلى الله عليه وسلَّم وبالتزام الإسلام الحق فإنه يحب حبَّين، حبًّا لقرابته، وحبًّا لدينه، وإلا فالنبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكَّر بآل البيت هو الذي ردَّ عليهم قبل موته صلى الله عليه وسلم كما في حديث معاذ رضي الله عنه، وهو يقول: «إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي هَؤُلَاءِ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَوْلَى النَّاسِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّ أَوْلِيَائِيَ مِنْكُمُ الْمُتَّقُونَ، مَنْ كَانُوا أَوْ حَيْثُ كَانُوا» أخرجه الطبراني في العجم الكبير (٢٤١)."

التَّفَاضُل بَينَ الصَّحَابَةِ

(ص)

[٤] وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلاَ وَفَضَائِلٌ

لكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ (١)

(ش)

لمَّا ذكر المصنِّف رحمه الله تعالى أنَّ من عقيدة أهل السنَّة حبّ الصحابة، وأنه لا يفرق بين الصَّحابة في المحبَّة تُوهّم أنه لا يرى التفاضل بينهم، فقال دفعا لهذا التوهم: (وَلِكُلِّهِمْ): ولجميع الصَّحابة وذوي الآل المستقيمين.

قوله: (قَدْرٌ): القدر في اللغة بفتح فسكون: وهو مقياس الشيء وضابطه، يقال: هذا له قدر أي: له مقياس وضابط، ويطلق على المنزلة والمكانة، ويقال: فلان له قدر عظيم أي: منزلة عظيمة.

قوله: (عَلاَ): علا الشَّيْء علوا ارْتَفع فَهُوَ عَال، أي: لهم منزلة عالية رفيعة.

قوله: (وَفَضَائِلٌ): جمع فضيلة، وهي الدرجَة الرفيعة في الفضل، وفضيلة الشَّيْء مزيته، وذلك لوجود الدلائل على فضائلهم.

قوله: (لكِنَّمَا الصِّدِّيقُ): يعني أبا بكر رضي الله عنه، واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر التميمي القرشي، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم.

قوله: (مِنْهُمْ أَفْضَلُ): أكثر فضيلة من غيره.

---

١) جاء الشطر الأول في إحدى النسخ: " ولكلهم قَدرٌ وفضلٌ ساطع ".

فضل ساطع أي: واضح، ومنتشر.

ومعنى البيت: اعلم أيُّها السَّائل أن لجميع الصحابة وذوي الآل المستقيمين وعامتهم منزلة عالية، ومرتبة رفيعة، وفضائل كثيرة، ولكنَّ أفضلهم وأعلمهم بإجماع الأمَّة أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، لأنه أفضل خلق الله بعد النبيين والمرسلين.

المسائل المتعلِّقة بالبيت:

١) فضائل الصَّحابة:

ورد في فضائل الصَّحابة أدلَّة كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة (١٠٠)].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح (١٨)].

وقوله عز وجلَّ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح (٢٩)]. (١)

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد (١٠)].

---

١) قال ابن كثير في تفسيره (٣٣٨/٧): "وَمِنْ هَذِهِ الْآيَةِ انْتَزَعَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ الله عليه فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ، بِتَكْفِيرِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصحابة رضي الله عنهم، قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فَهُوَ كَافِرٌ لِهَذِهِ الْآيَةِ، وَوَافَقَهُ طَائِفَةٌ مِنَ العلماء رضي الله عنهم على ذلك، والأحاديث في فضائل الصحابة رضي الله عنهم وَالنَّهْيِ عَنِ التَّعَرُّضِ لَهُمْ بِمَسَاءَةٍ كَثِيرَةٌ، وَيَكْفِيهِمْ ثَنَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرِضَاهُ عَنْهُمْ."

وفي الصحيحين عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ: «ثُمَّ يَتَخَلَّفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ، تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ».

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ «أَحْسَنْتُمْ أَوْ أَصَبْتُمْ» قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ».

وفي مسند الإمام أحمد من حديث ابن مسعود قَالَ: "إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ".

٢) فضائل آل النَّبيِّ صلى الله عليه وسلَّم:

قد ورد في فضائل آل النَّبي صلى الله عليه وسلَّم أدلة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب (٣٣)].

وفي صحيح مسلم عن وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

٣) عدالة الصَّحابة:

قال الغزاليّ: "والذى عليه سلف الأمة، وجماهير الخلق، أن عدالتهم معلومة بتعديل الله عز وجل إياهم وثنائه عليهم في كتابه، فهو معتقدنا فيهم، إلا أن يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه به، وذلك مما لا يثبت، فلا حاجة لهم إلى التعديل ... فأيُّ تعديل أصح من تعديل علام الغيوب – سبحانه – وتعديل رسوله صلى الله عليه وسلم، كيف ولو لم يرد الثناء لكان فيما اشتهر وتواتر من حالهم في الهجرة، والجهاد، وبذل المهج، والأموال، وقتل الآباء والأهل، في موالاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونصرته، كفاية في القطع بعدالتهم". ([1])

٤) مراتبهم في الفضل:

قال السَّفاريني في لوامع الأنوار (٢/٣١٢): "وَهُوَ ـيعني أبا بكرـ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ وَخَيْرُهُمْ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ الصَّحَابَةِ وَالنَّاسِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ – عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، ثُمَّ سَائِرُ الْعَشَرَةِ، ثُمَّ بَاقِي أَهْلِ بَدْرٍ، ثُمَّ بَاقِي أَهْلِ أُحُدٍ، ثُمَّ بَاقِي أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، ثُمَّ بَاقِي الصَّحَابَةِ، هَكَذَا إِجْمَاعُ أَهْلِ الْحَقِّ، فَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُنَازِعُ فِي ذَلِكَ إِلَّا زَائِغٌ."

---

[1]) المستصفى (١/١٦٤) وينظر: الإحكام للآمدي (٢/٨١، ٨٢) والبحر المحيط للزركشي (٤/٢٩٩).

٥) فضائل أبي بكر رضي الله عنه:

وردت في فضائل أبي بكر أدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة (٤٠)]، ([1]) وقوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل (١٨)]. ([2])

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، لَا تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ " قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

---

[1]) قال السفاريني في لوامع الأنوار (٢/٣١٥) "وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] أَنَّ الصَّاحِبَ الْمَذْكُورَ هُوَ أَبُو بَكْرٍ."

[2]) قال ابن عطية في تفسيره (٥/٤٩٠): "ولم يختلف أهل التأويل أن المراد بـ(الْأَتْقَى) إلى آخر السورة أبو بكر الصديق، ثم هي تتناول كل من دخل في هذه الصفات."

عَقِيدَةُ أَهلِ السُّنَّةِ فِي القُرآنِ

(ص)

[٥] وَأَقُولُ فِي القُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ
آياتُهُ فَهْوَ الْكَرِيمُ الْمُنزَلُ (١)

(ش)

لما أنهى المصنِّف رحمه الله الكلام على مسألة الصَّحابة والتفاضل بينهم شرع يتكلَّم في مسألة القرآن، لكونها من أعظم المسائل التي وقع الخلاف فيها، بل هي من أكبرها، ووقعت الفتنة بها في القول بخلق القرآن، وأوذي عدد كثير من أئمة أهل السنة بسببها.

قوله: (وَأَقُولُ): أي: أتلفظ، أو أعتقد. وقد تقدَّم الكلام عليه.

قوله: (فِي القُرْآنِ): أي: في مسألة القرآن وما يتعلَّق به، والقرآن: لغة مصدر قرأ، بمعنى جمع وتلا.

واصطلاحا: هو اللفظ العربي الذي تكلم الله تعالى به، المنزَّل على محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته، والعمل به، الموجود بين دفتي المصحف بالإجماع والتواتر. (٢)

قوله: (مَا جَاءَتْ بِهِ آياتُهُ): هو ما ورد في آيات الله البيِّنات، والآية: مقدار من القرآن.

---

١) في بعض النسخ: " فَهْوَ الْقَدِيمُ الْمُنَزلُ " والأولى اللفظ الذي أثبته، لقول تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]. وشيخ الإسلام لا يرضى عن هذا اللفظ، وفي بعضها الآخر غير ذلك.

٢) انظر قلائد التيجان للشيخ أبي عمرو الحجوري (ص/١٠)، ومعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية (٣/٧٦).

قوله: (فَهُوَ الْكَرِيمُ): أي: كثير الخير، غزير العلم، فكل خير وعلم، فإنما يستفاد من كتاب الله ويستنبط منه. ([1])

قوله: (الْمُنزَلُ): أي: الذي أنزله الله تعالى على نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلَّم بواسطة الأمين جبريل عليه السَّلام.

ومعنى البيت: وأبدي مذهبي واعتقادي في مسألة القرآن وهو الذي جاءت به آياته البيِّنات، وسوره المنزلات أنه هو الوحي الذي جاء من الله، المنزل من عنده، وهو كلامه غير مخلوق.

المسائل المتعلِّقة بهذا البيت:

١)القرآن كلام الله غير مخلوق:

من عقيدة أهل السنَّة والجماعة أن القرآن كلام الله وصفته غير مخلوق، وقد دلَّ على هذا كتاب الله وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلَّم.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة (٦)]، وقال عز من قائل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح (١٥)]، وقال العزيز العليم: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف (٥٤)]. ([2])

وفي مسند الإمام أحمد وغيره من حديث جابر رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ فَيَقُولُ: " هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي."

---

[1]) قاله السِّعدي في تفسيره (ص/٨٣٦) عند آية الواقعة.

[2]) وفي الشريعة للأجرّي (١/٥٠٤): " أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ أَيْضًا قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ نُصَيْرٍ أَبُو عُثْمَانَ الْوَاسِطِيُّ فِي مَجْلِسِ خَلَفِ الْبَزَّارِ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: مَا يَقُولُ هَذِهِ الدُّوَيْبَةُ؟ يَعْنِي بِشْرًا الْمِرِّيسِيُّ قَالُوا: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ يَزْعُمُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَالَ: كَذَبَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فَالْخَلْقُ: خَلْقُ اللَّهِ، وَالْأَمْرُ: الْقُرْآنُ".

قال الطحاوي في عقيدته: "وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بِسَقَرَ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [الْمُدَّثِّر: ٢٦] فَلَمَّا أَوْعَدَ اللَّهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [الْمُدَّثِّر: ٣٢] عَلِمْنَا وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ وَلَا يُشْبِهُ قَوْلَ البشر."

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١/١٨٥): " وَبِالْجُمْلَةِ، فَأَهْلُ السُّنَّةِ كُلُّهُمْ، مِنْ أَهْلِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ."

٢)حكم من قال: إن كلام الله مخلوق: (١)

قال أبو عثمان الصابوني في عقيدة السَّلف أصحاب الحديث: "ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وخطابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن –الذي هو كلام الله ووحيه–هو الذي نزل به جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢ – ١٩٥].

وهو الذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم أمته كما أمر به في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧] فكان الذي بلغهم بأمر

---

١) قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٧/٦١٩): "وَالتَّحْقِيقُ فِي هَذَا: أَنَّ الْقَوْلَ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا كَمَقَالَاتِ الْجَهْمِيَّة الَّذِينَ قَالُوا: إنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَرَى فِي الْآخِرَةِ؛ وَلَكِنْ قَدْ يَخْفَى عَلَى بَعْضِ النَّاسِ أَنَّهُ كُفْرٌ فَيُطْلِقُ الْقَوْلَ بِتَكْفِيرِ الْقَائِلِ؛ كَمَا قَالَ السَّلَفُ مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ وَمَنْ قَالَ: إنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ وَلَا يَكْفُرُ الشَّخْصُ الْمُعَيَّنُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ."

الله تعالى كلامه عز وجل، وفيه قال صلى الله عليه وسلم: ((أتمنعونني أن أبلغ كلام ربي)) وهو الذي تحفظه الصدور، وتتلوه الألسنة، ويكتب في المصاحف، كيفما تصرف بقراءة قارئ ولفظ لافظ وحفظ حافظ، وحيث تلي، وفي أي موضع قرئ أو كتب في مصاحف أهل الإسلام وألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله جل جلاله غير مخلوق؛ فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم.

سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق؛ فمن قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم، ولا تقبل شهادته، ولا يعاد إن مرض، ولا يصلى عليه إن مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه".

٣)القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود:

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٢/٢٣٥): "الَّذِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ اعْتِقَادُهُ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَعَلَى مَنْ اتَّبَعَهُمْ وَذَمَّ مَنْ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ وَهُوَ أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّهُ قُرْآنٌ كَرِيمٌ."

وقولهم: "منه بدأ"؛ أي: هو الذي ابتدأ به، وتكلم به أولاً.

وقولهم: "وإليه يعود": في معناه وجهان:

١) أنه يعود إليه في آخر الزمان، وفي الصحيحة للعلامة الألباني برقم (٨٧) من حديث حذيفة رضي الله عنها مرفوعا: ((يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك، ولا

صدقة وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية)).

وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله.

٢) أنه يعود إلى الله وصفاً؛ أي أنه لا يوصف به أحد سوى الله فيكون المتكلم بالقرآن هو الله عز وجل، وهو الموصوف به.

قال الشيخ ابن عثيمين في شرح الواسطية (١/٤٢٨): " ولا مانع أن نقول: إن المعنيين كلاهما صحيح."

٤)القرآن كلام الله حروف وأصوات:

ومن اعتقادِ السَّلَف في كلامِ الله تعالى أنَّ الله جلَّ وعلا يتكلَّم بحرف وصوت، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤]. ([1])

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]. ([2])

قال شيخُ الإسلام: "واستفاضت الأثار عن النبيّ –صلى الله عليه وسلم–، والصَّحابةِ، والتابعين، ومَن بعدَهم من أئمَّةِ السُّنَّة، أنَّه سبحانه يُنادي بصَوْتٍ، نادى موسى، ويُنادي عِبادَه يومَ القيامةِ بصَوْتٍ، ويتكلَّمُ بالوحي بصَوتٍ، ولم

---

[1]) والله تعالى تكلَّمَ به كذلك، بحروفهِ العربيَّة، كالألفِ والباءِ والتَّاءِ، ليسَ شَيْءٌ من ذلك قولَ أحَدٍ سِواهُ.

[2]) وقال شيخ الإسلام: "والنِّداء في لغة العَرَب: هو صوتٌ رَفيعٌ، لا يُطلَق النِّداء على ما ليسَ بصوتٍ، لا حَقيقةً ولا مَجازًا". مجموع الفتاوى (٦/ ٥٣١).

يُنْقَل عن أحدٍ من السَّلَفِ أنه قال: إنَّ الله يتكلَّمُ بلا صَوْتٍ، أو بِلا حَرْفٍ، ولا أنَّهُ أنْكَرَ أنْ يَتَكَلَّمَ الله بصَوْتٍ، أو بحَرْفٍ". (١)

٥)القرآن منزَّل من الله:

دليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام (١١٤)]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل (١٠٢)]، وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر (٢)].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ».

٦)كيفيَّة إنزال القرآن:

قد اختلف النَّاس في هذه المسألة اختلافا شديدا، وقد نقل السيوطي في الإتقان (١/١٤٦) أقوالا كثيرة في ذلك، وعقيدة أهل السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع القرآن من جبريل، وجبريل سمع من الله، كما قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٥/١٢٨): " وَمَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَخَلَفِهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ الْقُرْآنَ مِنْ جِبْرِيلَ وَجِبْرِيلُ سَمِعَهُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".

---

(١) "مجموع الفتاوى"(١٢/ ٣٠٤ – ٣٠٥).

وللشيخ العلّامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رسالة مهمّة في هذه المسألة، أسماها "الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم"، وهي في مجموع فتاويه (١/٢١٤-٢٣٩)، والله أعلم بالصواب.

تنبيه:

في بعض نسخ اللَّاميَّة (فهو القديم المنزل) وفيها وصف القرآن بالقدم، وذلك لا يجوز، لأنه لم يكن القرآن أزليا قديما بقَدم الله، وإن كان الله لم يزل متكلما إذا شاء، وكونه مكتوبا في أمِّ الكتاب لا يستلزم القدم المعروف في مصطلح المتكلمين، وهو ما لا بداية له. ([1])

[1]) قال شيخ الإسلام في المجموع (١٢/٥٦٧): " وَالسَّلَفُ قَالُوا: لَمْ يَزَلْ اللَّهُ تَعَالَى مُتَكَلِّمًا إذَا شَاءَ. فَإِذَا قِيلَ: كَلَامُ اللَّهِ قَدِيمٌ؛ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَصِرْ مُتَكَلِّمًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا وَلَا كَلَامُهُ مَخْلُوقٌ وَلَا مَعْنًى وَاحِدٌ قَدِيمٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ؛ بَلْ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إذَا شَاءَ فَهَذَا كَلَامٌ صَحِيحٌ. وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ السَّلَفِ إنَّ نَفْسَ الْكَلَامِ الْمُعَيَّنِ قَدِيمًا. وَكَانُوا يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ. وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إنَّ الْقُرْآنَ قَدِيمٌ وَلَا قَالُوا: إنَّ كَلَامَهُ مَعْنًى وَاحِدٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ وَلَا قَالُوا: إنَّ حُرُوفَ الْقُرْآنِ أَوْ حُرُوفَهُ وَأَصْوَاتَهُ قَدِيمَةٌ أَزَلِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ جِنْسُ الْحُرُوفِ لَمْ يَزَلْ اللَّهُ مُتَكَلِّمًا بِهَا إذَا شَاءَ؛"

عَقِيدَةُ أَهلِ السُّنَّةِ فِي نُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

(ص)

[٦] وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلاَلُهُ

وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ

(ش)

لمَّا فرغ المصنِّف رحمه الله من مسألة القرآن أخذ يتكلم على مسألة مهمَّة من مباحث الاعتقاد، وهو مبحث مصادر التلقي والاستدلال، فيبحث فيه عما تعتمد عليه العقيدة الصحيحة، ومن تؤخذ عنه؟ ولا شك أنها تعتمد على الكتاب والسنة والإجماع على فهم السلف، ولا إجماع في باب العقيدة إلا لدليل، والله أعلم.

قوله: (وَأَقُولُ): أي أتلفظ به عند الاستدلال والاعتماد، أو أعتقد بما قاله الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلَّم.

قوله: (قَالَ اللهُ): أي تكلَّم الله حقيقة في مسألة كذا، و (الله) علم على ذات الإلهية سبحانه وتعالى، وهذا اللفظ لا يطلق إلا على الله تعالى أبداً، ولا يجوز أن يسمى به أحد غيره، لأنه أعرف المعارف بالإجماع، وهو مشتق عند جماعة من أهل العلم.

قوله: (جَلَّ جَلاَلُهُ): جلَّ الشيء يجل جلالاً وجلالة، أي: عظم، وجل فلان أي: عظم قدره، والجلال العظمة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن (٢٧)]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

قوله: (وَالْمُصْطَفَى): يعني المختار، لأنه مأخوذ من الصفوة، وصفوة الشيء خياره، فهو صلى الله عليه وسلم مصطفى أي مختار على جميع الخلق، وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "واصطفاني من قريش." ([1])

والاصطفاء هو الاجتباء والاختيار.

قوله: (الْهَادِي): الهادي: اسم فاعل من هدى هداية، أي هداية الدلالة والبيان، وقد تقدم الكلام عليها.

قوله: (وَلاَ أَتَأَوَّلُ): من أوَّل يؤوِّل تأويلا، وله خمسة معان:

١) حقيقة الشيء ووقوعه وهذا إذا كان الكلام خبرا، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣].

٢) حقيقة الشيء وامتثاله وذلك إذا كان الكلام طلبا، كحديث عائشة المتفق عليه، قالت: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر في ركوعه وسجوده من أن يقول: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، قالت: كان يتأوَّل القرآن)).

٣) التفسير والتبيين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران (٧)]،

---

[1]) قال ابن عثيمين في شرح السفارينية (ص/٥١): "مسالة: هل المصطفى من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم؟

الجواب: لا، بل الظاهر أنه من أوصافه، والعجيب أن بعض الناس يكرر فيقول: قال المصطفى ... وقال المصطفى ... مع أن الصحابة رضي الله عنهم اشد منا تعظيما للرسول عليه الصلاة والسلام، وأعلم منا بمناقبه ولم يقولوا ذلك؛ فلم يقل أبو هريرة: قال المصطفى، ولا قاله أحد من الصحابة، وفي كل كتب الحديث يقول الصحابي: قال رسول الله، قال نبي الله، قال أبو القاسم، وما أشبه ذلك، لكن الناس في الوقت الحاضر ابتلوا بصياغة الألفاظ، ولم ينظروا إلى من سبقهم، والحقيقة أنه ينبغي لنا أن ننظر إلى من سبق."

وقول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل).

٤) صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر لدليل، وهذا اصطلاح المتأخرين.

٥) صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر بدون دليل، كقولهم: إن معنى استوى استولى، وهذا هو التحريف.

ومراد المصنِّف هو هذا المعنى الأخير.

ومعنى البيت: اعلم أيها السَّائل أني أقول عند الاستدلال والكلام في المسائل العقدية: قال الله عز وجل كذا، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم كذا، بدون تأويل أي تحريف، لأني عقيدتي مبنية على الكتاب والسنَّة لا على مذهب معيَّن، ولا على رأي شخص، والله أعلم.

مسألة البيت:

١) في هذا البيت أن أهل السنة والجماعة لا يعتمدون في المسائل العقدية إلا على الآية القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة، وقد دلَّ على ذلك كتاب الله وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلَّم، ومن ذلك قوله تعالى ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف (٣)]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت (٥١)].

وأن منهج أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد هو التوقيف، أي: الأخذ بما دلت عليه النصوص بدون تحريف، يقول العلامة ابن عثيمين في شرح لمعة الاعتقاد (ص/٣٢): "الواجب في نصوص الكتاب والسنَّة إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير؛ لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والنبي صلى الله

عليه وسلَّم يتكلم باللسان العربي، فوجب إبقاء دلالة كلام الله وكلام رسوله على ما هي عليه في ذلك اللسان."

٢) وفي البيت ردٌّ على من يرى أن الأخذ بظواهر النصوص من أصول الكفر، ([1]) يقول ابن عثيمين في شرح الواسطيَّة (ص/٢٠٤): "من اعتقد أن ظاهر القرآن كفر وضلال فهو كافر وضالّ."

---

[1]) قال الشنقيطي في أضواء البيان (٧/٢٦٥): "وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْمُنْصِفُ، أَنَّ مِنْ أَشْنَعِ الْبَاطِلِ وَأَعْظَمِ الْقَوْلِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، عَلَى اللَّهِ وَكِتَابِهِ وَعَلَى النَّبِيِّ وَسُنَّتِهِ الْمُطَهَّرَةِ، مَا قَالَهُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الصَّاوِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى الْجَلَالَيْنِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَآلِ عِمْرَانَ وَاغْتَرَّ بِقَوْلِهِ فِي ذَلِكَ خَلْقٌ لَا يُحْصَى مِنَ الْمُتَسَمِّينَ بِاسْمِ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، لِكَوْنِهِمْ لَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ حَقٍّ وَبَاطِلٍ. فَقَدْ قَالَ الصَّاوِيُّ أَحْمَدُ الْمَذْكُورُ فِي الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْأَقْوَالَ فِي انْفِصَالِ الِاسْتِثْنَاءِ عَنِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ بِزَمَانٍ – مَا نَصُّهُ: وَعَامَّةُ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّ شَرْطَ حَلِّ الْأَيْمَانِ بِالْمَشِيئَةِ أَنْ تَتَّصِلَ، وَأَنْ يُقْصَدَ بِهَا حَلُّ الْيَمِينِ، وَلَا يَضُرُّ الْفَصْلُ بِتَنَفُّسٍ أَوْ سُعَالٍ أَوْ عُطَاسٍ، وَلَا يَجُوزُ تَقْلِيدُ مَا عَدَا الْمَذَاهِبَ الْأَرْبَعَةَ، وَلَوْ وَافَقَ قَوْلَ الصَّحَابَةِ وَالْحَدِيثَ الصَّحِيحَ وَالْآيَةَ، فَالْخَارِجُ عَنِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ ضَالٌّ مُضِلٌّ، وَرُبَّمَا أَدَّاهُ ذَلِكَ لِلْكُفْرِ؛ لِأَنَّ الْأَخْذَ بِظَوَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أُصُولِ الْكُفْرِ. انْتَهَى مِنْهُ بِلَفْظِهِ.

فَانْظُرْ يَا أَخِي – رَحِمَكَ اللَّهُ – مَا أَشْنَعَ هَذَا الْكَلَامَ وَمَا أَبْطَلَهُ، وَمَا أَجْرَأَ قَائِلَهُ عَلَى اللَّهِ وَكِتَابِهِ، وَعَلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَصْحَابِهِ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.

أَمَّا قَوْلُهُ بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَنِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ، وَلَوْ كَانَتْ أَقْوَالُهُمْ مُخَالِفَةً لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ، فَهُوَ قَوْلٌ بَاطِلٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِجْمَاعِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ أَنْفُسِهِمْ، كَمَا سَنَرَى إِيضَاحَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ فِي الْمَسَائِلِ الْآتِيَةِ بَعْدَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَالَّذِي يَنْصُرُهُ هُوَ الضَّالُّ الْمُضِلّ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّ الْأَخْذَ بِظَوَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أُصُولِ الْكُفْرِ، فَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَشْنَعِ الْبَاطِلِ وَأَعْظَمِهِ، وَقَائِلُهُ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ انْتِهَاكًا لِحُرْمَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.

وَالتَّحْقِيقُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَعَامَّةُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْعُدُولُ عَنْ ظَاهِرِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، حَتَّى يَقُومَ دَلِيلٌ صَحِيحٌ شَرْعِيٌّ صَارِفٌ عَنِ الظَّاهِرِ إِلَى الْمُحْتَمَلِ الْمَرْجُوحِ.

وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْعَمَلَ بِظَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أُصُولِ الْكُفْرِ لَا يَصْدُرُ الْبَتَّةَ عَنْ عَالِمٍ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَإِنَّمَا يَصْدُرُ عَمَّنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَصْلًا، لِأَنَّهُ لِجَهْلِهِ بِهِمَا يَعْتَقِدُ ظَاهِرَهُمَا كُفْرًا، وَالْوَاقِعُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ أَنَّ ظَاهِرَهُمَا بَعِيدٌ مِمَّا ظَنَّهُ أَشَدُّ مِنْ بَعْدِ الشَّمْسِ مِنَ اللَّمْسِ."

عَقِيدَةُ أَهلِ السُّنَّةِ فِي صِفَاتِ اللهِ جَلَّ وَعَلا

(ص)

[٧] وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمِرُّهَا
حَقّاً كَمَا نَقَلَ الطِّرَازُ الأَوَّلُ

(ش)

لمَّا بيَّن المصنِّف رحمه الله في البيت السابق قاعدة عامَّة في المسائل العقدية أراد أن يبيِّن قاعدة أخرى في باب الصفات، فقال رحمه الله: (وَجَمِيعُ): أي الكل بدون استثناء.

قوله: (آيَاتِ الصِّفَاتِ): أي الآيات المتلوَّة الواردة في الكتاب المتعلِّقة بصفات الله الله جلَّ وعلا ونعوته، ومثلها أحاديثها التي وردت في السنَّة الصحيحة.

والصفات جمع صفة، وهي المعنى القائم بالله تعالى مما نعت به نفسه أو نعته به رسوله صلى الله عليه وسلَّم.

قوله: (أُمِرُّهَا): من مرَّ يمرّ مرور بمعنى: جَازَ وَذهب وَمضى، ومعنى أمرُّها أثبتها كما جاءت في القرآن، دون التعرُّض لكيفيَّتها، وكما وردت معانيها في لغة العرب.

قوله: (حَقّاً): أي أثبت الصفات على حقيقتها بلا تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل، يقال: حقَّ الأمر حقًّا إذا صحَّ وثبت.

قوله: (كَمَا نَقَلَ): أي مثلما روي، سواء كان ذلك النقل في كتاب، أو دلت عليه نصوص السنة، أو فهمها الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم.

قوله: (الطِّرَازُ الأَوَّلُ): من الطِّرز وهو الشكل، والطِّراز يطلق على علم الثوب والنمط، والجيّد من كل شيء، وهو فارسي معرَّب، والمراد به هنا الرَّعيل الأوَّل، من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان كالسفيانين، والأوزاعي، وأحمد بن حنبل، وابن المبارك وغيرهم من أئمة السلف رضوان الله عليهم.

ومعنى البيت: اعلم أيها السَّائل أنَّ مذهبي وعقيدتي في جميع آيات الصفات وأحاديثها هو إمرارها كما نقلها إلينا الصحابة ومن تبعهم بإحسان من العلماء الأفذاذ رحمهم الله جميعا.

المسائل المتعلِّقة بالبيت:

١) قاعدة أهل السنَّة في باب الصفات:

قال ابن عبد البرّ: "أَهْلُ السُّنَّةِ مُجْمِعُونَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِيمَانِ بِهَا وَحَمْلِهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ؛ لَا عَلَى الْمَجَازِ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يُكَيِّفُونَ شَيْئًا وَلَا يَحُدُّونَ فِيهِ صِفَةً مَحْصُورَةً. وَأَمَّا أَهْلُ الْبِدَعِ: الْجَهْمِيَّة وَالْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ فَكُلُّهُمْ يُنْكِرُهَا؛ وَلَا يَحْمِلُ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِهَا مُشَبِّهٌ وَهُمْ –عِنْدَ مَنْ أَقَرَّ بِهَا– نَافُونَ لِلْمَعْبُودِ وَالْحَقُّ مَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ أَئِمَّةُ الْجَمَاعَةِ." (١)

وقال شيخ الإسلام: "فَمَذْهَبُ السَّلَفِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إثْبَاتُ الصِّفَاتِ وَإِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا وَنَفْيُ الْكَيْفِيَّةِ عَنْهَا. لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَنْ الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ، وَإِثْبَاتُ الذَّاتِ إثْبَاتُ وُجُودٍ؛ لَا إثْبَاتُ كَيْفِيَّةٍ، فَكَذَلِكَ إثْبَاتُ الصِّفَاتِ. وَعَلَى هَذَا مَضَى السَّلَفُ كُلُّهُمْ." (٢)

---

١) التمهيد لابن عبد البر (١٤٥/٧) مجموع الفتاوى (٢٢١/٣).

٢) مجموع الفتاوى (٦/٤).

٢) معنى إمرار الصفات.

قد ثبت عن جمع من السلف كمالك وسفيان وابن المبارك، ومكحول، والزهري، أنهم كانوا يقولون: "أمرّوها كما جاءت بلا كيف"، ومعنى إمرارها هو فهم معانيها وإثبات حقائقها دون التعرُّض لكيفيَّتها. ([1])

وذلك هو إثبات اللفظ وما دلَّ عليه من المعاني، فيفهم المعنى المراد، من حيث الوضع اللغوي، ومن حيث معرفة مراد المتكلِّم، فنعلم معنى السَّمع، وأنه إدراك المسموعات، ومعنى البصر وأنه إدراك المبصرات، ومعنى استوى وأنه علا أو ارتفع أو صعد أو استقر، ونحو ذلك.

والسَّلف إنما كفوا عن الثرثرة والتشدق، لا عجزا -بحمد الله- عن الجدال والخصام، ولا جهلا بطرق الكلام. وإنما أمسكوا عن الخوض في ذلك عن علم ودراية، لا عن جهل وعماية." ([2])

---

[1]) مختصر الصواعق (ص/١٧).

[2]) انظر طبقات الحنابلة (٤٤٨/٣).

صَونُ الصِّفَاتِ مِنَ التَّحرِيفِ وَالتَّكيِيفِ

(ص)

[٨] وأَرُدُّ عُهْدَتَها إِلَى نُقَّالِهَا

وَأَصُونُها عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

(ش)

لما بيَّن النَّاظم منهجه في جميع النصوص الدالة على الأسماء والصفات، وأنه يمرها على ظاهرها ولا يتعرض لها بشيء، ويبين ما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى، انتقل بعد ذلك إلى تتميم هذه المسألة مبيناً أنه يرد عهدتها إلى نقالها، فقال: (وأَرُدُّ): أي: أرجع، وأسند.

قوله: (عُهْدَتَها): الضمير عائد على آيات الصفات وأحاديثها، والعهدة التبعة والمسئولية.

قوله: (إِلَى نُقَّالِهَا): إلى الذين نقلوا إلينا ورووها لنا، يقال: (والعهدة على الناقل) أي: هو الذي يتحمَّل مسئوليَّتها، لأنني لست أنا الذي جئت بها.

وهذا الكلام محله في بعض الأحاديث، وأما القرآن فمتواتر.

قوله: (وَأَصُونُها): أي أحمي آيات الصفات وأحاديثها، وأحفظها، والصيانة معناها: الحماية.

قوله: (عَنْ كُلِّ): عن جميع.

قوله: (مَا يُتَخَيَّلُ): ما يخطر في البال، فلا أتخيل بعقلي أي صفة وردت لله تعالى.

ومعنى البيت: أردُّ وأرجع مسئولية آيات الصفات وأحاديثها وما دلت عليه إلى من نقلوها، ومفهومه أني أصون اعتقادي عن الخوض فيها بعزوها إلى ناقليها، ومخرِّجيها، فبلغني عن الثقات مثلا أن الله ينزل كل ليلة، فالعهدة على هؤلاء الثقات الذين رووا لنا، كما أنِّي أحمي آيات الصفات وأحاديثها عن كلِّ ما يتخيَّل بالبال، فمتى خطر ببالك شيء من ذلك فالله بخلاف ذلك، ولا يمكن أبداً أن يكون كما يتصوره الإنسان.

المسائل المتعلِّقة بالبيت:

في هذا البيت عدَّة مسائل:

١) أهل السنَّة يثبتون أدلة الصفات إذا نقلها الثقات، ولو لم تبلغ حدَّ التواتر، فلا يشترطون في أدلة الصفات شروطا زائدة على غيرها، والعهدة على من نقلها. ([1])

٢) أهل السنَّة يصونون الصفات عن خمسة أشياء: ([2])

أ) **التمثيل:** وهو ذكر مماثل الشيء، بأن يقال في صفات الله أنها مثل صفات المخلوقين.

---

[1]) قال العلامة الجامي في الصفات الإلهية (ص/٣٤): "والذي نعتقده وندين الله به – وهو المعقول أيضاً– أن كل ما صح الاستدلال به على الأحكام من النصوص الصريحة، والأحاديث الصحيحة، يصح الاستدلال بمثله في العقيدة في إثبات صفات الله تعالى وأسمائه وأفعاله، وما يتعلق بأفعال العباد، بل على كل ما يجب الإيمان به في الدين، ومن يفرق بين هذه الأبواب في أدلتها فيطالب بالدليل ولا دليل، فإذاً يصح الاستدلال بكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقيدة كما صح في الأحكام، وهذا هو المطلوب."

[2]) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥١٥/٦): "وَجِمَاعُ الْقَوْلِ فِي إثْبَاتِ الصِّفَاتِ هُوَ الْقَوْلُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا وَهُوَ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ وَيُصَانُ ذَلِكَ عَنْ التَّحْرِيفِ وَالتَّمْثِيلِ وَالتَّكْيِيفِ وَالتَّعْطِيلِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ فَمَنْ نَفَى صِفَاتِهِ كَانَ مُعَطِّلًا. وَمَنْ مَثَّلَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ مَخْلُوقَاتِهِ كَانَ مُمَثِّلًا وَالْوَاجِبُ إثْبَاتُ الصِّفَاتِ وَنَفْيُ مُمَاثَلَتِهَا لِصِفَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ إثْبَاتًا بِلَا تَشْبِيهٍ وَتَنْزِيهًا بِلَا تَعْطِيلٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْمُمَثِّلَةِ {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} رَدٌّ عَلَى الْمُعَطِّلَةِ فَالْمُمَثِّلُ يَعْبُدُ صَنَمًا وَالْمُعَطِّلُ يَعْبُدُ عَدَمًا."

ب) التكييف: وهو تكييف صفات الله والبحث عن كنهها. (١)

ت) التعطيل: وهو إنكار ما أثبت الله لنفسه أو رسوله من الأسماء والصفات، كإنكار اليد والوجه وغير ذلك.

ث) التحريف: وهو إزالة اللفظ عما دلَّ عليه من المعنى، كتفسير اليد بالنعمة أو القدرة. (٢)

ج) التفويض: وهو الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ولا فهم لمراد الله ورسوله منها.

ومن أهل البدع من يقول:

وكل نص أوهم التشبيه *** أوِّله أو فوِّض ورم تنزيها.

---

١) التنبيهات اللطيفة للسعدي (ص/١٨).

وقال ابن عثيمين في شرح الواسطيَّة (ص/٦٥): "ولهذا أيضاً قال بعض العلماء جواباً لطيفاً: إن معنى قولنا: "بدون تكييف": ليس معناه ألا نعتقد لها كيفية، بل نعتقد لها كيفية لكن المنفى علمنا بالكيفية لأن استواء الله على العرش لا شك أن له كيفية، لكن لا تعلم، نزوله إلى السماء الدنيا له كيفية، لكن لا تعلم، لأن ما من موجود إلا وله كيفية، لكنها قد تكون معلومة، وقد تكون مجهولة."

٢) مجموع الفتاوى (١٦٦/٣).

ذَمُّ مَن تَرَكَ القُرآنِ

(ص)

[٩] قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ القُرَانَ وَرَاءَهُ

وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الأَخْطَلُ (١)

(ش)

المراد من هذا البيت ذم من ترك القرآن والسنَّة، ورغب عما اتفق عليه الأئمة، ومال إلى ما لا حجة فيه، فقال رحمه الله: (قُبْحاً): أي قبَّح الله قبحا، والقبح في اللغة: ضد الحسن، والمراد به هنا دعاء بالتقبيح ذمًّا عليه بفعل السيئ.

قوله: (لِمَنْ نَبَذَ): أي رماه وطرحه، وأصل النبذ: الطرح والإلقاء.

قوله: (القُرَانَ): تقدَّم الكلام عليه.

قوله: (وَرَاءَهُ): أي: خلفه، والمراد أنه طرحه رغبة عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة (١٠١)].

قوله: (وَإِذَا اسْتَدَلَّ): أي: إذا جاء بحجة وبرهان على ما يدل على مذهبه بحيث يعتمد عليه.

قوله: (يَقُولُ): يتلفظ به.

---

(١) ومثله قول ابن القيم في النونية:

تبا لهاتيك العقول فإنها *** والله قد مسخت على الأبدان

تبا لمن أضحى يقدمها على الـ *** آثار والأخبار والقرآن

قوله: (قَالَ الأَخْطَلُ): وهو الشاعر النَّصْرَانيّ: غياث بن غوث التَّغْلِبي المتوفى (٩٥ هـ). ([1])

ومعنى البيت: قبح الله من نبذ القرآن وراءه، وتركه، وترك الاعتماد عليه والاستدلال به والتعويل عليه، وإذا أراد أن يأتي بحجة يستدل بقول النصراني الكافر الخبيث. ([2])

المسائل المتعلقة بالبيت:

وفي البيت التقبيح لمن يترك الكتاب والسنَّة ويستدل من لا حجة في كلامه كالنصراني الأخطل، والمراد بهم الأشاعرة والمعتزلة، فهم الذين استدلوا بقول الأخطل. ([3])

وأمَّا الأشاعرة فاستدلُّوا في نفي صفة الكلام، وقالوا بأن كلامه نفساني، لأن الأخطل قال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما *** جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

---

[1]) قال ابن تيميَّة في مجموع الفتاوى (٧/ ١٤٠): "هُوَ مِنْ الْمُوَلَّدِينَ؛ وَلَيْسَ مِنْ الشُّعَرَاءِ الْقُدَمَاءِ وَهُوَ نَصْرَانِيٌّ كَافِرٌ مُثَلِّثٌ، وَاسْمُهُ الْأَخْطَلُ وَالْخَطَلُ فَسَادٌ فِي الْكَلَامِ وَهُوَ نَصْرَانِيٌّ، وَالنَّصَارَى قَدْ أَخْطَئُوا فِي مُسَمَّى الْكَلَامِ فَجَعَلُوا الْمَسِيحَ الْقَائِمَ بِنَفْسِهِ هُوَ نَفْسَ كَلِمَةِ اللَّهِ."

[2]) قال الذهبي في العلو (ص/٢٦٦): " أخبرنَا عبد الْخَالِق بن عبد السَّلَام القَاضِي أَخْبَرَنَا الإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ قدامَة قَالَ: حَدثنِي أَبُو الْمَعَالِي أسعد بن المنجا قَالَ: كنت يَوْمًا عِنْد الشَّيْخ أبي الْبَيَان رَحمَه الله تَعَالَى فَجَاءَهُ ابْن تَمِيم الَّذِي يَدعِي الشَّيْخ الْأمين، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخ بعد كَلَام جرى بَينهمَا: وَيحك الْحَنَابِلَة إِذا قيل لَهُم: مَا الدَّلِيل على أَن الْقُرْآن بِحرف وَصَوت؟ قَالُوا: قَالَ الله كَذَا وَقَالَ رَسُوله كَذَا، وسرد الشَّيْخ الْآيَات وَالْأَخْبَار، وَأَنْتُم إِذا قيل لكم: مَا الدَّلِيل على أَن الْقُرْآن معنى فِي النَّفس؟ قُلْتُمْ: قَالَ الأخطل: إِن الْكَلَام لفي الْفُؤَاد، أيش هَذَا؟ الأخطل نَصْرَانِيّ خَبِيث، بنيتم مذهبكم على بَيت شعر من قَوْله، وتركتم الْكتاب وَالسّنة.

قَالَ أَبُو مُحَمَّد الخشاب نحوي الْعرَاق: "فتشت شعر الأخطل المدون كثيرا فَمَا وجدت هَذَا الْبَيْت."

[3]) والذي يدلّ على أنَّ المصنِّف قصد بهذين البيتين أنه ذكرهما على نحو هذا السياق في جواب الاعتراضات المصريَّة (ص/٨)

قال ابن حزم في الفصل في الملل والنحل (١٢٢/٣): " فجوابنا على هَذَا الِاحْتِجَاج أَن نقُول مَلْعُون مَلْعُون قَائِل هَذَا الْبَيْت، وملعون مَلْعُون من جعل قَول هَذَا النَّصْرَانِي حجَّة فِي دين الله عز وَجل."

وأما المعتزلة فقد استدلوا قول الأخطل في نفي الاستواء، وقالوا: معناه الاستيلاء،(١) لأن الأخطل يقول:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ *** مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ.

وقيل: لا يعرف قائل هذا البيت. (٢)

وقد أجيب عن البيتين أجوبة كثيرة مذكورة في المطوَّلات.

---

١) قال الشنقيطي في أضواء البيان (٢٩٧/٧): "وَأَهْلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ لَمْ يُنْكِرُوا أَنَّ كَلِمَةَ الْقُرْآنِ هِيَ اسْتَوَى، وَلَكِنْ حَرَّفُوهَا وَقَالُوا فِي مَعْنَاهَا: اسْتَوْلَى وَإِنَّمَا أَبْدَلُوهَا بِهَا ؛ لِأَنَّهَا أَصْلَحُ فِي زَعْمِهِمْ مِنْ لَفْظِ كَلِمَةِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّ كَلِمَةَ الْقُرْآنِ تُوهِمُ غَيْرَ اللَّائِقِ، وَكَلِمَةُ اسْتَوْلَى فِي زَعْمِهِمْ هِيَ الْمُنَزِّهَةُ اللَّائِقَةُ بِاللَّهِ مَعَ أَنَّهُ لَا يُعْقَلُ تَشْبِيهٌ أَشْنَعُ مِنْ تَشْبِيهِ اسْتِيلَاءِ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ الْمَزْعُومِ، بِاسْتِيلَاءِ بِشْرٍ عَلَى الْعِرَاقِ، وَهَلْ كَانَ أَحَدٌ يُغَالِبُ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ حَتَّى غَلَبَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ؟ وَهَلْ يُوجَدُ شَيْءٌ إِلَّا وَاللَّهُ مُسْتَوْلٍ عَلَيْهِ، فَاللَّهُ مُسْتَوْلٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؟ وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ تَعَالَى اسْتَوَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ غَيْرَ الْعَرْشِ؟ فَافْهَمْ.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّ الْمُئَوِّلَ زَعَمَ أَنَّ الِاسْتِوَاءَ يُوهِمُ غَيْرَ اللَّائِقِ بِاللَّهِ لِاسْتِلْزَامِهِ مُشَابَهَةَ اسْتِوَاءِ الْخَلْقِ، وَجَاءَ بَدَلَهُ بِالِاسْتِيلَاءِ، لِأَنَّهُ هُوَ اللَّائِقُ بِهِ فِي زَعْمِهِ، وَلَمْ يَنْتَبِهْ؛ لِأَنَّ تَشْبِيهَ اسْتِيلَاءِ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ بِاسْتِيلَاءِ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى الْعِرَاقِ هُوَ أَفْظَعُ أَنْوَاعِ التَّشْبِيهِ، وَلَيْسَ بِلَائِقٍ قَطْعًا، إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ الِاسْتِيلَاءَ الْمَزْعُومَ مُنَزَّهٌ عَنْ مُشَابَهَةِ اسْتِيلَاءِ الْخَلْقِ، مَعَ أَنَّهُ ضَرَبَ لَهُ الْمَثَلَ بِاسْتِيلَاءِ بِشْرٍ عَلَى الْعِرَاقِ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وَنَحْنُ نَقُولُ: أَيُّهَا الْمُئَوِّلُ هَذَا التَّأْوِيلَ، نَحْنُ نَسْأَلُكَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَنْزِيهِ أَحَدِ اللَّفْظَيْنِ أَعْنِي لَفْظَ اسْتَوَى الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ الْمَلَكَ عَلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قُرْآنًا يُتْلَى، كُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ أَنْكَرَ أَنَّهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَفَرَ، وَلَفْظَةُ اسْتَوْلَى الَّتِي جَاءَ بِهَا قَوْمٌ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى نَصٍّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ وَلَا قَوْلِ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ، فَأَيُّ الْكَلِمَتَيْنِ أَحَقُّ بِالتَّنْزِيهِ فِي رَأْيِكَ. الْأَحَقُّ بِالتَّنْزِيهِ كَلِمَةُ الْقُرْآنِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ، أَمْ كَلِمَتُكُمُ الَّتِي جِئْتُمْ بِهَا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِكُمْ، مِنْ غَيْرِ مُسْتَنَدٍ أَصْلًا؟ وَنَحْنُ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا الْجَوَابُ الصَّحِيحُ، عَنْ هَذَا السُّؤَالِ إِنْ كُنْتَ لَا تَعْرِفُهُ."

٢) قال ابن القيّم كما في مختصر الصواعق (ص/٣٠٦): "لا يُدرى من قائله، وليس في دواوين العرب وأشعارهم التي يرجع إليها."

فائدة: هذا البيت نفسه ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٦/٢٩٧)، وقال: "وَلِهَذَا كَانَ مِمَّا يُشَنَّعُ بِهِ عَلَى هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ احْتَجُّوا فِي أَصْلِ دِينِهِمْ وَمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الْكَلَامِ -كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ جَمِيعِ الْخَلْقِ -بِقَوْلِ شَاعِرٍ نَصْرَانِيٍّ يُقَالُ لَهُ الْأَخْطَلُ: ([1])

إنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا *** جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

وَقَدْ قَالَ طَائِفَةٌ: إنَّ هَذَا لَيْسَ مَنْ شِعْرِهِ وَبِتَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ مِنْ شِعْرِهِ فَالْحَقَائِقُ الْعَقْلِيَّةُ أَوْ مُسَمَّى لَفْظِ الْكَلَامِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ جَمِيعُ بَنِي آدَمَ لَا يُرْجَعُ فِيهِ إلَى قَوْلِ أَلْفِ شَاعِرٍ فَاضِلٍ دَعْ أَنْ يَكُونَ شَاعِرًا نَصْرَانِيًّا اسْمُهُ الْأَخْطَلُ وَالنَّصَارَى قَدْ عُرِفَ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ فِي كَلِمَةِ اللَّهِ بِمَا هُوَ بَاطِلٌ وَالْخَطَلُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْخَطَأُ فِي الْكَلَامِ وَقَدْ أَنْشَدَ فِيهِمْ الْمُنْشِدُ:

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ الْقُرْآنَ وَرَاءَهُ *** فَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ".

وقوله: "المُنشِد" يدلُّ على أنَّ القائل بهذا البيت غيره احتمالا، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

---

[1]) قال أيضا وهو يتعجب من صنيع هؤلاء: "وَلَوْ احْتَجَّ مُحْتَجٌّ فِي مَسْأَلَةٍ بِحَدِيثِ أَخْرَجَاهُ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَالُوا: هَذَا خَبَرٌ وَاحِدٌ، وَيَكُونُ مِمَّا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَصْدِيقِهِ وَتَلَقِّيهِ بِالْقَبُولِ، وَهَذَا الْبَيْتُ لَمْ يُثْبِتْ نَقْلَهُ عَنْ قَائِلِهِ بِإِسْنَادِ صَحِيحٍ لَا وَاحِدٌ وَلَا أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ وَلَا تَلَقَّاهُ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَبُولِ، فَكَيْفَ يَثْبُتُ بِهِ أَدْنَى شَيْءٍ مِنْ اللُّغَةِ فَضْلًا عَنْ مُسَمَّى الْكَلَامِ؟". مجموع الفتاوى (٧/١٣٨). الإيمان (ص/١٣٢).

إِثبَاتُ صِفَتَي الرُّؤيَةِ والنُّزُولِ

(ص)

[١٠] وَالمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقّاً رَبَّهُمْ
وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

(ش)

لما أنهى المصنِّف الكلام على مسألة الصفات وذم من ترك الكتاب والسنَّة شرع يتكلم على الرؤية والنزول لكونهما صفتين تتعلق بذات الله جلَّ وعلا، وهما من مسائل الاعتقاد التي أثبتها أهل السنَّة والجماعة، وخالفهم غيرهم.

قوله: (وَالمُؤْمِنُونَ): الذين يؤمنون بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر وبالقدر خيره وشرِّه، وبجميع الأخبار التي وردت في الكتاب والسنَّة.

قوله: (يَرَوْنَ): ينظرون بأبصارهم.

قوله: (حَقّاً): أي: حقيقة، وصدقاً وحساً لا خيالاً.

قوله: (رَبَّهُمْ): الرَّب هو المربِّي الخالق الرّازق الناصر الهادي. ([1])

قوله: (وَإِلَى السَّمَاءِ): السماء في اللغة: هي العلو والارتفاع، والمراد به سماء الدُّنيا.

قوله: (بِغَيْرِ كَيْفٍ): أي: بدون تكييف.

قوله: (يَنْزِلُ): في الثلث الأخير من الليل.

---

[1]) قاله شيخ الإسلام كما في التفسير الكبير (٢/٣٠٧).

ومعنى البيت: اعلم أيها السَّائل أن من مذهبي وعقيدتي أن المؤمنين بالله المقرِّين برسالة محمَّد صلى الله عليه وسلَّم ينظرون خالقهم رؤية عيان، لا مجاز فيها، كما أنِّي أعتقد أن ربَّهم ورازقهم ينزل إلى السماء الدَّنيا بلا كيف نعلمه.

المسَائِل المتعلِّقة بالبيت:

في هذه البيت مسائل:

١) رؤية الله تعالى يوم القيامة: ([1])

قد ورد في كتاب الله جلَّ وعلا وفي سنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]. ([2])

وفي الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى

---

[1]) فائدة جميلة:

قال العلامة الجامي في الصفات الإلهية (ص/٣٠٠-٣٠١): "هذا فإثبات الرؤية ليس صفة من صفات الله تعالى لأن الرؤية لا تقوم بالله تعالى، بل المؤمنون هم الذين يرونه سبحانه فالله هو المرئي لهم، فإنما أدخلناها في عداد الصفات المختارة التي جعلنا محل الحديث المفصل. لأنها محل نزاع بين السلف والخلف كما علمت. وبالله التوفيق."

قلت: ولكنَّ التجلِّي صفة لله جلَّ وعلا لقوله تعالى ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف (١٤٣)]. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

[2]) فبين الله سبحانه وتعالى أنه عذب الكافرين بحجبهم عنه فلا يرونه؛ ولهذا قال السلف: لما عذبهم بالحجب أنعم على المؤمنين بالرؤية، وقد استدل بذلك بعض السلف ك عبد الله بن المبارك، والشافعي من بعده، وغيرهم من أئمة السلف. شرح اللاميَّة عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي.

صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» – يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ –، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

وفي الصحيحين أيضا عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أنَّ ناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ» قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا".

قال ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح (ص/٢٥٨): " قد دل القران والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام ونزل الإيمان وخاصة رسول الله على أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا وكما ترى الشمس في الظهيرة."

قال قائل:

مما تواتر حديث من كذب *** ومن بنى لله بيتاً واحتسب

ورؤية شفاعة والحوض *** ومسح خفين وهذي بعض

٢) رؤية الله تعالى في الجنَّة:

ورد في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن المؤمنين يرون ربهم في الجنَّة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين:٣٥]، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا،

وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

وفي صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ".

قال الطبري في صريح السنَّة (ص/٢٠): "وَأَمَّا الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ دِينُنَا الَّذِي نَدِينُ اللَّهَ بِهِ، وَأَدْرَكْنَا عَلَيْهِ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَهُوَ: أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَهُ عَلَى مَا صَحَّتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."

٣) حكم من أنكر الرؤية:

قال شيخ الإسلام كما في المجموع (٦/٤٨٦): " وَالَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ السَّلَفِ أَنَّ مَنْ جَحَدَ رُؤْيَةَ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ؛ فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْهُ الْعِلْمُ فِي ذَلِكَ عُرِّفَ ذَلِكَ كَمَا يُعَرَّفُ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَصَرَّ عَلَى الْجُحُودِ بَعْدَ بُلُوغِ الْعِلْمِ لَهُ فَهُوَ كَافِرٌ. وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ"([1])

٤) نزول الله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا:

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ

[1]) قال الذهبي في السير (١٠/١١٤): "نُعَنِّفُ وَنُبَدِّعُ مَنْ أَنْكَرَ الرُّؤْيَةَ فِي الآخِرَةِ، إِذْ رُؤْيَةُ اللهِ فِي الآخِرَةِ ثَبَتَ بِنُصُوْصٍ مُتَوَافِرَةٍ."

ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ ".

قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي (ص/٢٢٩): " واعلم أن السلف الصالح ومن سلك سبيلهم من الخلف متفقون على إثبات نزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا وكذلك هم مجمعون على إثبات الإتيان والمجيء، وسائر ما ورد من الصفات في الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، ولم يثبت عن أحد من السلف أنه تأول شيئاً من ذلك." ([1])

٥) حكم من أنكر النزول:

قال الإمام معمر بن أحمد الأصفهاني: "وَنُزُولُ الرَّبِّ إِلَى السَّمَاءِ بِلَا كَيْفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ وَلَا تَأْوِيلٍ، فَمَنْ أَنْكَرَ النُّزُولَ أَوْ تَأَوَّلَ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ." ([2])

---

[1]) قال الحافظ الحكمي في معارج القبول (٣٨٨/١): "وَنَحْنُ نَشْهَدُ شَهَادَةَ مُقِرٍّ بِلِسَانِهِ مُصَدِّقٍ بِقَلْبِهِ مُسْتَيْقِنٍ بِمَا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنْ ذِكْرِ نُزُولِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا مِنْ غَيْرِ أَنْ نَصِفَ الْكَيْفِيَّةَ؛ لِأَنَّ نَبِيَّنَا الْمُصْطَفَى –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمْ يَصِفْ كَيْفِيَّةَ نُزُولِ خَالِقِنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَعْلَمَنَا أَنَّهُ يَنْزِلُ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يَتْرُكْ وَلَا نَبِيُّهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَيَانَ مَا بِالْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ. فَنَحْنُ قَائِلُونَ مُصَدِّقُونَ بِمَا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنْ ذِكْرِ النُّزُولِ كَمَا يَشَاءُ رَبُّنَا وَعَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ غَيْرَ مُتَكَلِّفِينَ الْقَوْلَ بِصِفَتِهِ أَوْ بِصِفَةِ الْكَيْفِيَّةِ، إِذِ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمْ يَصِفْ لَنَا كَيْفِيَّةَ النُّزُولِ، فَنَسِيرُ بِسَيْرِ النُّصُوصِ حَيْثُ سَارَتْ وَنَقِفُ مَعَهَا حَيْثُ وَقَفَتْ لَا نَعْدُوهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا نَقْصُرُ عَنْهَا."

[2]) نقله عنه الذهبي في العلو، وابن تيمية في الحموية، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلاميَّة، والله أعلم.

عَقِيدَةُ أَهلِ السُّنَّةِ فِي المِيزَانِ وَالحَوضِ

(ص)

[١١] وأُقِرُ بالْمِيزَانِ وَالْحَوضِ الَّذِي
أَرجُو بأَنِّي مِنْهُ رَيّاً أَنْهَلُ

(ش)

لمَّا فرغ المصنِّف رحمه الله من بيان بعض صفات الله جلَّ وعلا أراد أن يذكر عقيدة أهل السنة والجماعة في جملة من أمور الآخرة، ومن ذلك الإيمان بالميزان، والحوض، والجنة دار المتقين، والنار دار الأشقياء، والصراط المنصوب على ظهر جهنم، والقبر وما فيه من النعيم والعذاب، وما يتبع الميت من عمله، فقال رحمه الله: (وأُقِرُ): أي: وأعترف بلساني، وأعتقد بجناني، والإقرار هو الاعتراف بالشيء مع الإذعان له.

قوله: (بالْمِيزَانِ): وهو ماله كفتان توزن به الأشياء، والوزن في اللغة الثقل، والمراد به هنا هو الميزان الذي توزن به أعمال العباد خيرها وشرَّها حسنها وسيِّئها.

قوله: (وَالْحَوضِ): أي: وأقر بحوض النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم، والحوض هو الذي يجتمع فيه الماء، والمراد له هنا هو الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.([1])

---

[1]) مجموع الفتاوى (٣/١٤٦).

قوله: (أَرجُو): أي آمل غدا، والرجاء هو الأمل، والرجاء من الله هو النظر إلى سعة رحمة الله مع العمل.

قوله: (بأَنّي مِنْهُ): أي: من الحوض.

قوله: (رَيّاً): بفتح الراء، رُوِيَ من المَاء وَنَحْوه رَيًّا أي: شرب وشبع، والاسم الرِّي بكسر الراء، وهو من الارتواء، وهو ضد الظمأ.

قوله: (أَنْهَلُ): أي: أشرب منه حتى أروي، والنهل هو أول الشرب عند العرب، والشرب الثاني هو العل، يقال: (عل) وعللا شرب ثَانِيَة أَو تباعا.

ومعنى الإجمالي للبيت: وأقر بالميزان أي: أثبته ثبوتاً لا جدال فيه وأعترف به كما أعترف بالحوض الذي أرجو كما يرجو غيري من المسلمين أن أشرب منه حتى أروي، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

المسائل المتعلِّقة بالبيت:

١) إثبات الميزان:

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة].

وقال تعالى: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ."

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ – أَوْ تَمْلَأُ – مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا».

قال الحافظ في الفتح (٥٣٨/١٣) عند حديث (٧٥٦٣): "قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ: أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْمِيزَانِ، وَأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ وَيَمِيلُ بِالْأَعْمَالِ."

٢) ثقل كلمة التوحيد في الميزان:

في مسند الإمام أحمد (٢٧٢/١١) عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: " فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ "، قَالَ: " فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ مع اسم الله شَيْءٌ."

أخرجه أحمد والترمذي وصححه العلامة الألباني والعلامة الوادعي رحمه الله.

٣) تعدد الموزين:

قال الله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

قال الشنقيطي في أضواء البيان (١٥٩/٤): "وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ جَمْعُ مِيزَانٍ. وَظَاهِرُ الْقُرْآنِ تَعَدُّدُ الْمَوَازِينِ لِكُلِّ شَخْصٍ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ فَظَاهِرُ الْقُرْآنِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلْعَامِلِ الْوَاحِدِ مَوَازِينَ يُوزَنُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا صِنْفٌ مِنْ أَعْمَالِهِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

مَلِكٌ تَقُومُ الْحَادِثَاتُ لِعَدْلِهِ *** فَلِكُلِّ حَادِثَةٍ لَهَا مِيزَانُ

وَالْقَاعِدَةُ الْمُقَرَّرَةُ فِي الْأُصُولِ: أَنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ لَا يَجُوزُ الْعُدُولُ عَنْهُ إِلَّا بِدَلِيلٍ يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ. وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: الْأَكْثَرُ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا هُوَ مِيزَانٌ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا جُمِعَ بِاعْتِبَارِ تَعَدُّدِ الْأَعْمَالِ الْمَوْزُونَةِ فِيهِ."

٤) إثبات الحوض:

في الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَلَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا؟ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ».

وفي الصحيحين أيضا عن جندب بن جنادة قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ».

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٩١/٢): "الْأَحَادِيثُ فِي حَوْضِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَاتِرَةٌ صَحِيحَةٌ ثَابِتَةٌ كَثِيرَةٌ، وَالْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ عِنْدَ جماعة علماء المسلمين واجب، والاقرار به عند الجماعة لَازِمٌ."

٥) صفة الحوض:

قال الشَّيخ محمد باجمال في شرح اللاميَّة (ص/٩٢): "ولقد أثبتت الأحاديث المتكاثرة المتواترة في صفة الحوض أمورا:

١) أنه أبيض من اللبن، وفي بعضها أبيض من الورق، أي: الفضة.

٢) وأحلى من العسل.

٣) ورائحته أطيب من المسك.

٤) وحافتاه قباب الدرِّ المجوف.

٥) وطوله شهر.

٦) وعرضه شهر.

٧) وزواياه متساوية.

٨) ويصب فيه ميزابان في الجنَّة، ميزاب من ذهب، وميزاب من فضة.

٩) وأن من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا.

١٠) وأن آنيته وأكوابه أكثر من عدد نجوم السَّماء.

١١) وطينه مسك أذفر.

١٢) وأن أمته يردون ليشربوا منه.

١٣) وأنه يمنع من شربه أقوام غيروا وبدلوا وأحدثوا.

١٤) وأن النبي صلى الله عليه وسلم يذود الناس بعصاه لأهل اليمن.

١٥) وأنه موجود الآن.

١٦) وأنه أبرد من الثلج.

وكلها في الصحيحين إلا الأخير فعن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، وهو حسن بشواهده."

٦) من يذاد عن الحوض:

في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ".

قال القرطبي في تفسيره (١٦٨/٤): " فَمَنْ بَدَّلَ أَوْ غَيَّرَ أَوِ ابْتَدَعَ فِي دِينِ الله مالا يَرْضَاهُ اللَّهُ وَلَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ فَهُوَ مِنَ الْمَطْرُودِينَ عَنِ الْحَوْضِ الْمُبْتَعِدِينَ مِنْهُ الْمُسَوَّدِي الْوُجُوهِ، وَأَشَدُّهُمْ طَرْدًا وَإِبْعَادًا مَنْ خَالَفَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَفَارَقَ سَبِيلَهُمْ، كَالْخَوَارِجِ عَلَى اخْتِلَافِ فِرَقِهَا، وَالرَّوَافِضِ عَلَى تَبَايُنِ ضَلَالِهَا، وَالْمُعْتَزِلَةِ عَلَى أَصْنَافِ أَهْوَائِهَا، فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مُبَدِّلُونَ وَمُبْتَدِعُونَ، وَكَذَلِكَ الظَّلَمَةُ الْمُسْرِفُونَ فِي الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ وَطَمْسِ الْحَقِّ وَقَتْلِ أَهْلِهِ وَإِذْلَالِهِمْ، وَالْمُعْلِنُونَ بِالْكَبَائِرِ الْمُسْتَخِفُّونَ بِالْمَعَاصِي، وَجَمَاعَةُ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ."

٧) حكم من أنكر الحوض:

قال السفاريني في لوامع الأنوار (٢٠٢/٢): "خَالَفَتِ الْمُعْتَزِلَةُ فَلَمْ تَقُلْ بِإِثْبَاتِ الْحَوْضِ مَعَ ثُبُوتِهِ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ، فَكُلُّ مَنْ خَالَفَ فِي إِثْبَاتِهِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ."

عَقِيدَةُ أَهلِ السُّنَّةِ فِي الصِّرَاطِ

(ص)

[١٢] وَكَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ

فَمُوَحِّدٌ نَاجٍ وَآخَرُ مُهْمَلُ (١)

(ش)

قوله: (وَكَذَا): أي: وكإقراري بالميزان أقرُّ.

قوله: (الصِّرَاطُ): الصراط في اللغة: الطريق، وشرعا: هو الْجِسْرُ الْمَنْصُوبُ عَلَى جَهَنَّمَ لِعُبُورِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ إِلَى الْجَنَّةِ. (٢)

قوله: (يُمَدُّ): أي: ينصب، والمد هو: الجذب والطول.

قوله: (فَوْقَ): أي: ظهر ومتن.

قوله: (جَهَنَّمٍ): مأخوذة من الجِهنام، وهو القعر البعيد، وهو اسم من أسماء النَّار التي أعدَّها الله للفجَّار.

قوله: (فَمُوَحِّدٌ): وهو من يعتقد أن الله تعالى واحد في ألوهيته، وواحد في ربوبيته، وواحد في أسمائه وصفاته، والمراد به المسلم المطيع.

قوله: (نَاجٍ): مأخوذ من النجاة وهي الخلوص من الشيء، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت:٣٣] أي: نخلصك من العذاب وأهلك، أي: لا تصاب بشيء.

قوله: (وَآخَرُ): أي غير المسلم والموحد.

---

١) وفي نسخة: (فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ) والمثبت أقرب.

٢) فتح الباري لابن حجر (١١/٤٤٦).

قوله: (مُهْمَلُ): أي: متروك، بمعنى: أنه يترك في النار ويقحم فيها، فلا يعان على جوازه، فيكب على وجهه في النار.

ومعنى البيت: أنا أقرُّ كإقراري بالميزان بأن الصراط الممدود على متن جهنم حقٌّ ثابت للأدلة الواردة فيه، ثم إنَّ الناس في الجواز على الصراط إما ناج برحمة الله وفضله لكونه موحِّدا، وساقط في النَّار لكفره أو عصيانه، وبقي قسم آخر سيأتي.

المسائل المتعلِّقة بالبيت:

فيه مسائل:

١) إثبات الصراط وصفته:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧٢].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ "، قَالَ: " فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ " قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: " أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ

كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا "، قَالَ: «وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ» وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا."

قال السفاريني في لوامع الأنوار (١٩٢/٢): "اتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى إِثْبَاتِ الصِّرَاطِ فِي الْجُمْلَةِ، لَكِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ يُثْبِتُونَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنْ كَوْنِهِ جِسْرًا مَمْدُودًا عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ أَحَدَّ مِنَ السَّيْفِ وَأَدَقَّ مِنَ الشَّعْرِ."

وقال النووي في شرح مسلم (٢٠/٣): "وَفِي هَذَا إِثْبَاتُ الصِّرَاطِ وَمَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ إِثْبَاتُهُ، وَقَدْ أَجْمَعَ السَّلَفُ عَلَى إِثْبَاتِهِ، وَهُوَ جِسْرٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمِ يَمُرُّ عَلَيْهِ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَالْمُؤْمِنُونَ يَنْجُونَ عَلَى حَسَبِ حَالِهِمْ أَيْ مَنَازِلِهِمْ، وَالْآخَرُونَ يَسْقُطُونَ فِيهَا، أَعَاذَنَا اللَّهُ الْكَرِيمُ مِنْهَا."

٢) أقسام الناس في الصراط:

في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلَّم قال: ((ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: " دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ)).

في هذا الحديث أن الناس في مرور الصراط على ثلاثة أصناف:

١) من يمر من غير أن يصاب بشيء من الكلاليب، وهذا المسلَّم.

٢) من يمرُّ بعد أن تخدشه الكلاليب ثم ينجو، وهذا المخدوش المرسل.

٣) من تخطفه الكلاليب ويسقط في النار، وهذا المكدوس. ([1])

والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

[1]) انظر شرح مسلم للنووي (١٨٣) والفتح (٦٥٧٣)، نقلا عن الشيخ باجمال في شرح اللامية (ص/١٠٤).

عَقِيدَةُ أَهلِ السُّنَّةِ فِي الجَنَّةِ وَالنَّارِ

(ص)

[١٣] والنَّارُ يَصْلاَهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ
وَكَذَا التَّقِيُّ إِلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ

(ش)

قوله: (والنَّارُ): التي هي دار البوار والفجار، و(أل) في لفظة (النار) للعهد، ويقصد بها النار التي توعد الله سبحانه وتعالى بها من خالف شرعه ودينه من الكفار والمشركين، ومن عصاة المؤمنين.

قوله: (يَصْلاَهَا): يدخلها، يقال: أصلاه النار أي: أدخله إياها.

قوله: (الشَّقِيُّ): مأخوذ من الشقاء والشقاوة، وهو بالفتح ضد السعادة، والشقي هو الذي كتبت له الشقاوة وهو في بطن أمه.

قوله: (بِحِكْمَةٍ): الحكمة: وضع الشيء في موضعه اللائق به، والله هو الحكيم والحكيم: من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق، ولا يشذ عنها مأمور، فما خلق شيئا إلا لحكمة، ولا أمر بشيء إلا لحكمة. ([1])

قوله: (وَكَذَا التَّقِيُّ): يعني من جعل بينه وبين عذاب الله وقاية، وهو الفاعل للمأمورات، والمجتنب للمحذورات.

قوله: (إِلى الجِنَانِ): جمع جنَّة، والمراد بها دار النعيم التي أعدها الله لأوليائه.

قوله: (سَيَدْخُلُ): إلى الجنَّة وسيحلّ فيها بدون خروج منها.

---

[1]) تفسير السِّعدي (ص/٤٨).

ومعنى البيت: افهم أيُّها السائل أن من عقيدتي ومذهبي وهي عقيدة أهل السنَّة والجماعة أن الشَّقي يصلى النَّار ويدخلها بحكمة الله –جل وعلا– وعدله، يعني بما كسبت وبما جنت يداه، وأن التقي الذي جمع معاني التقوى سيدخل الجنَّة برحمة أرحم الرَّاحمين وفضله.

المسائل المتعلقة بالبيت:

١) أقسام النَّاس في الآخرة:

قال الله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى (٧)].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم (١٦)].

٢) الجنَّة والنَّار موجودتان مخلوقتان:

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران (١٣٣)].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد (٢١)].

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة (٢٤)].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران (١٣١)].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "احْتَجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ، وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ

لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ – وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ – وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا."

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ».

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلَّم: "إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُولَجُونَهُ، فَعُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ، حَتَّى لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ – أَوْ قَالَ: تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا – فَقَصُرَتْ يَدِي عَنْهُ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا، رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ".

قال النووي في شرح مسلم (٦/٢٠٧): "وَفِيهِ أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ مَوْجُودَتَانِ الْيَوْمَ وَأَنَّ فِي الْجَنَّةِ ثِمَارًا، وَهَذَا كُلُّهُ مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا وَسَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ."

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢/٦١٤): "فَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ مَوْجُودَتَانِ الْآنَ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ، حَتَّى نَبَغَتْ نَابِغَةٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ، فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ، وَقَالَتْ: بَلْ يُنْشِئُهُمَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

٣) الجنَّة والنار لا تفنيان ولا تبيدان:

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء (١٤)].

وقال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر (٧٤)].

قال ابن حزم في الفصل (٤/٦٩): "اتّفقت فرق الْأمة كلهَا على أَنه لَا فنَاء للجنة وَلَا لنعيمها وَلَا للنار وَلَا لعذابها إلا الجهم بن صَفْوَان وَأَبا الْهُذيْل العلاف وقوماً من الروافض." (١)

٤) مكان الجنَّة والنَّار:

قال ابن رجب كما في تفسيره (١/٢٤٧): "وقد ثبتَ بالأدلةِ أنَّ الجنةَ فوقَ السماءِ السابعةِ، وأنَّ النارَ تحتَ الأرضِ السابعةِ، وقد ذكرْنا ذلك في كتابِ: صفة النارِ" مستوفىً."

قلت: المسألة خلافيَّة، وبسطها في المطوَّلات.

---

١) أي الفناء معا.

عَقِيدَةُ أَهلِ السُّنَّةِ فِي القَبرِ وَفِتنَتِه

(ص)

[١٤] ولِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ في قَبْرِهِ
عَمَلٌ يُقارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

(ش)

لمَّا أنهى المصنِّف رحمه الله تعالى الكلام على الجنَّة والنَّار أراد أن يبيِّن أن هناك دارا قبلهما بعد الدُّنيا، وهي البرزخ، وفيها فتنة عظيمة يبتلي الله بها عباده.

قوله: (ولِكُلِّ): أي الجميع.

قوله: (حَيٍّ): ضدَّ الميِّت، يعني قبل وفاته، والحيُّ هو: كل متكلم ناطق.

قوله: (عَاقِلٍ): مأخوذ من العقل، وهي صفة قائمة بنفس الإنسان التي تعقل، ومحلُّه القلب، والعاقل هو الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، فلا بدَّ للعاقل العلم والعمل. (١)

---

١) قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٩/٢٨٦): "وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ اسْمَ الْعَقْلِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَجُمْهُورِ الْعُقَلَاءِ إنَّمَا هُوَ صِفَةٌ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى عَرَضًا قَائِمًا بِالْعَاقِلِ. وَعَلَى هَذَا دَلَّ الْقُرْآنُ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. وَقَوْلِهِ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾. وَقَوْلِهِ: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَقْلَ مَصْدَرُ عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلًا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَالْعَقْلُ لَا يُسَمَّى بِهِ مُجَرَّدُ الْعِلْمِ الَّذِي لَمْ يَعْمَلْ بِهِ صَاحِبُهُ. وَلَا الْعَمَلُ بِلَا عِلْمٍ؛ بَلْ إنَّمَا يُسَمَّى بِهِ الْعِلْمُ الَّذِي يُعْمَلُ بِهِ وَالْعَمَلُ بِالْعِلْمِ وَلِهَذَا قَالَ أَهْلُ النَّارِ: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} وَقَالَ تَعَالَى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾. وَالْعَقْلُ الْمَشْرُوطُ فِي التَّكْلِيفِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عُلُومًا يُمَيِّزُ بِهَا الْإِنْسَانُ بَيْنَ مَا يَنْفَعُهُ وَمَا يَضُرُّهُ، فَالْمَجْنُونُ الَّذِي لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الدَّرَاهِمِ وَالْفُلُوسِ وَلَا بَيْنَ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ وَلَا يَفْقَهُ مَا يُقَالُ لَهُ مِنْ الْكَلَامِ لَيْسَ بِعَاقِلِ. أَمَّا مَنْ فَهِمَ الْكَلَامَ وَمَيَّزَ بَيْنَ مَا يَنْفَعُهُ وَمَا يَضُرُّهُ فَهُوَ عَاقِلٌ."

قوله: (فِي قَبْرِهِ): أي في المكان الذي يدفن فيه، والقبر هو مدفن الإنسان، وجمعه قبور.

قوله: (عَمَلٌ): سواء كان صالحا أم طالحا، والعمل الصالح هو كلُّ قول أو فعل يقرِّب إلى الله بأن يكون فاعله لله مخلصا، ولمحمد صلى الله عليه وسلَّم متَّبعا.

قوله: (يُقارِنُهُ): أي يصحبه، ويجد عنده من خير أو شرّ.

قوله: (هُنَاكَ): أي: في قبره.

قوله: (وَيُسْأَلُ): عن الأمور الثلاثة.

ومعنى البيت: كل إنسان إذا دخل في قبره فإن عمله سيكون معه مقارناً له، ويسأل عن ربه وعن نبيه وعن دينه، كما ورد في الأحاديث.

المسائل المتعلِّقة بهذا البيت:

فيه عدَّة مسائل:

١) العمل يدخل مع الميت القبر:

جاء عند أحمد وصحح الوادعي في الصحيح المسند عن البراء بن عازب قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: "اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، "، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ،

حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ ". قَالَ: "فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ " قَالَ: " فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى". قَالَ: "فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ". قَالَ: " فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ". قَالَ: " وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي ". قَالَ: " وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ،

حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ ". قَالَ: " فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ "، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: "اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ". ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] "فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ ".

في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ».

قال الحافظ في الفتح عند الحديث (١١/٣٦٥): "وَمَعْنَى بَقَاءِ علمه أَنَّهُ يَدْخُلُ مَعَهُ الْقَبْرَ."

٢) فتنة القبر وعذابه:

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم (٢٧)].

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه _واللفظ للبخاري وعنده زيادة_ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الكَافِرُ – أَوِ المُنَافِقُ – فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ "

قال شيخ الإسلام كما في المجموع (٤/٢٨٥): "فَأَمَّا أَحَادِيثُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمَسْأَلَةُ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فَكَثِيرَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."

واختلف العلماء في بعض الأصناف، منهم الأنبياء والصديقون والشهداء والمرابطون والصبيان والمجانين، والخلاف مذكور في المطولات، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

٣) هل يشترط في عذاب القبر الدَّفن:

قال ابن القيم في الرّوح (ص/٥٨): " وَمِمَّا ينبغى أَن يعلم أَن عَذَاب الْقَبْر هُوَ عَذَاب البرزخ، فَكل من مَاتَ وَهُوَ مُسْتَحقّ للعذاب ناله نصِيبه مِنْهُ قبر أَو لم

يقبر، فَلَو أَكلته السبَاع أَو أحرق حَتَّى صَار رَمَادا ونسف فِي الْهَوَاء، أَو صلب، أَو غرق فِي الْبَحْر وصل إِلَى روحه وبدنه من الْعَذَاب مَا يصل إِلَى الْقُبُور."

مُعتَقَدُ الأَئمَّةِ الأَربعَةِ

(ص)

[١٥] هذا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيّ ومَالِكٍ
وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَد يُنْقَلُ

(ش)

لمَّا فرغ المصنِّف رحمه الله الكلام على المسائل المتفق عليها عند أئمة السلف صرَّح في آخر نظمه بأن هذا اعتقاد أئمة المذاهب الأربعة المتبوعين، فقال رحمه الله: (هذا): أي الذي ذكرته في نظمي واعتقدته بقلبي.

قوله: (اعْتِقَادُ): تقدَّم معناه.

قوله: (الشَّافِعِيّ): وهو الإمام المبجل محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي. ولد سنة (١٥٠هـ) وتوفي (٢٠٤هـ) وكان عمره (٥٤).

قوله: (ومَالِكٍ): وهو الإمام الموقر مالك بن أنس بن مالك، أبو عبد الله الأصبحي، ولد سنة (٩٣هـ)، وتوفي (١٧٩هـ)، وكان عمره (٨٦).

قوله: (وَأَبِي حَنِيفَةَ): وهو الإمام الفقيه نعمان بن ثابت التيمي مولاهم، أبو حنيفة، ولد سنة (٨٠هـ)، وتوفي (١٥٠هـ)أو (١٥١هـ)، وكان عمره (٧٠) أو (٧١).

قوله: (ثُمَّ أَحْمَد): وهو إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، ولد (١٦٤هـ)، وتوفي (٢٤١)، وكان عمره (٧٧).

قال بعضهم:

فنعمانهم قان وطعق لمالك *** وللشافعي در ورم لابن حنبل ([1])

قوله: (يُنْقَلُ): بضم الياء، مغير الصيغة، أي: أن هذا الاعتقاد ينقل ويروى عن أحمد، ورُوي بفتح الياء، أي: ينقل عن هؤلاء الأئمة هذا الاعتقاد، فأنا أرويه عنهم بالنقل.

ومعنى البيت:

هذا الاعتقاد السابق في باب الصحابة، وفي باب الصفات، وفي مسألة الرؤية والنزول، وفي باب الغيبيات، وما سبق من الكلام في موضوع الميزان والحوض والصراط ونحو ذلك، كل هذا ليس اعتقادي فقط، وإنما هو اعتقاد الأئمة الأربعة وغيرهم، بل هو اعتقاد النبيِّ الكريم محمد صلى الله عليه وسلَّم وأصحابه.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٣/٣٠٢): "لَيْسَ الِاعْتِقَادُ لِي، وَلَا لِمَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنِّي؛ بَلْ الِاعْتِقَادُ يُؤْخَذُ عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ. يُؤْخَذُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْ أَحَادِيثِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا مِنْ الْأَحَادِيثِ الْمَعْرُوفَةِ وَمَا ثَبَتَ عَنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ."

---

[1]) وهذا البيت يرمز لوفيات الأئمة الأربعة بحساب " الجُمّل"

"قان" = ١٠٠ + ١ + ٥٠ = (١٥١هـ)

"طعق" = ٩+٧٠+١٠٠=(١٧٩هـ)

"در" =٤+٢٠٠= (٢٠٤هـ)

"رم"=٢٠٠ +٤٠ = (٢٤٠هـ)

وهي وفيات الأئمة الأربعة.

الأَمرُ بالاتِّبَاعِ وَالنَّهيُ عَن الابْتِدَاعِ

(ص)

[١٦] فَإِنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ

وَإِنِ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

(ش)

قوله: (فَإِنِ اتَّبَعْتَ): من الاتباع وهو السير على ما ساروا عليه، والإيمان بما آمنوا به، ولا يكون إلا بدليل، بخلاف التقليد.

قوله: (سَبِيلَهُمْ): السبيل هو الطريق، والمقصود منهجهم وعقيدتهم.

قوله: (فَمُوَفَّقٌ): من التوفيق، والتوفيق من الله هو التسهيل والتيسير والمعونة، بمعنى ألا يكلك الله إلى نفسك.

قوله: (وَإِنِ ابْتَدَعْتَ): أي: أتيت ببدعة، والبدعة في اللغة: المخترع من غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٩] وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة:١١٧].

واصطلاحا: طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٌ، تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَبُّدِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ. ([1])

قوله: (فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلُ): أي فلا اعتماد على ما قلت، ولا قبول لما أردت. والمعوَّل هو الشيء المعتمد عليه، أو الذي يبكي عليه.

---

[1]) قاله الشاطبي في الاعتصام (١/ ٥٠) ط: الهلالي.

ومعنى البيت: فإن اتبعت أيها المعتقد لطريق سبيل هؤلاء الأئمة واقتفيت أثرهم فاعتقدت ما اعتقدوه وأسست قواعد مذهبك على ما حرروه وقرروه فأنت بذلك الاتباع على منهاج السنَّة النبويَّة متمسكا بالعقيدة السلفية المحمودة المرضيَّة، موفق للاقتداء بالكتاب والسنَّة وما أجمع عليه سلف الأمَّة، وإن أبيت الاتباع فابتدعت وأوّلت الاستواء بالاستيلاء، والنزول بنزول أمره ورحمته ونحو ذلك، وجعلت كلام الله عبارة أو حكاية عنه، وأوَّلت صفة اليدين بالنعمة ونحو ذلك من صفاته المقدَّسة، ولم تسلك سبيل الإقرار والإمرار، وخرقت بذلك إجماع السلف الصالح الأخيار، ونبذت الكتاب والسنَّة والآثار، ورغبت بجهلك عن عقيدة السلف، ورضيت بما زخرفه لك الخلف، فما عليك بذلك معول بما اعتقدته، لأنك أبيت الاتباع، ودنت الابتداع، وخرقت الإجماع، ورضيت لنفسك بالمراء والجدال والنِّزاع، فنودي عليك بالمكابرة والابتداع. ([1])

وقد صحَّ عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: "قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر. لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم."

هذا آخر ما أردنا شرحه من المنظومة اللامية في الأصول الاعتقادية التي تنسب للشيخ الإمام أبي العباس أحمد بن تيميَّة، طيَّب الله أثره، وجعل الجنة مثواه، وكانت مدة شرحها خمسة أيام من شهر ذي الحجة، عام ألف وأربعمائة

---

[1]) قاله العلامة المرداوي في شرح اللامية (ص/١٨٣-١٨٤).

وتسعة وثلاثين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه أبو مشكور الإسكافيلي

عبد الشكور بن علي بن عبد الله الصومالي

فَهرسُ المحتَوياَت

المقدّمة	١
سبب الشرح	١
تعريف اللامية وموضوعها	٢
نسبتها لشيخ الإسلام	٢
شروحات المنظومة	٤
ترجمة المصنِّف	٦
مصنَّفاته	٧
شيوخه	٧
تلامذته	٨
ثناء العلماء عليه	٨
وفاته	٩
نصّ المنظومة	١٠
مقدِّمة المصنِّف	١٢
شرح البيت الثاني	١٦
عقيدة أهل السنة في الصحابة والآل	١٩
التفاضل بين الصحابة	٢٥
عقيدة أهل السنة في القرآن	٣٠
عقيدة أهل السنة في نصوص الكتاب والسنَّة	٣٧
عقيدة أهل السنة في صفات الله جلَّ وعلا	٤١
صون الصِّفات من التحريف والتكييف	٤٤

ذم من ترك القرآن	٤٧
إثبات صفتي النزول والرؤية	٥١
عقيدة أهل السنة في الميزان والحوض	٥٦
عقيدة أهل السنَّة في الصراط	٦٢
عقيدة أهل السنة في الجنة والنار	٦٦
عقيدة أهل السنة في القبر وفتنته	٧٠
معتقد الأئمة الأربعة	٧٦
الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع	٧٨
الخاتمة	٧٩
فهرس المحتويات	٨١